الفَخّ

لنزار السيسي

ستاد القاهرة

2013/6/15

محمد مرسي –الرئيس المعزول– يخطب قائلًا في مؤتمر الأمَّة المصريَّة لدعم الثورة السوريَّة:

بسم الله الرحمن الرحيم

لبَّيكِ يا سوريا... لبَّيكِ يا سوريا... لبَّيكِ يا سوريا...

لِمِصْرَ أَمْ لِرُبوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ	**هُنَا العُلَا وَهُناكَ المجْدُ والحَسَبُ**
رُكْنانِ لِلضَّادِ لازالَتْ رُبوعُهُما	**قَلْبَ الهِلالِ، عَلَيْها خافِقٌ يَجِبُ...**

سبحانه القائِل في مُحْكَمِ كتابه: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَأَنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» صدق الله العظيم... الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله (ص)، الذي علَّمنا ووَجَّهنا، وهو قائِدُنا ووَلِيُّنا وزَعيمُنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهِم وتَراحُمِهِم وتَعاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ؛ إِذا اشْتَكى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى»، أو كما قال (ص).

أيُّها الجَمْعُ الكريم، من خلالكم أخاطب شعب مصر... وأقول لكم ما أرى وأسمع من هذا الشعب العظيم: الكل، وبغير استثناء، كل القُوَى والأحزاب والتجمُّعات: المسلمين والمسيحيين؛ أهل مصر جميعًا يُعْلُون أصواتهم وينادون بكل وضوح: نحن مع سوريا شعبًا وإرادة، وضدَّ مَن يحكمها الآن، فيقتل الأبناء ويعتدي على النساء، ويستعين بمن يقتل من خارج أرضه لشعبه... لبَّيكِ يا سوريا.

الإخوة الكرام... والسيدات والسادة الحضور، لا بُدَّ أن أبدأ حديثي معكم بالتحية الواجبة؛ فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من هنا أُوجِّه حديثي من أرض الكنانة؛ قلب الأمَّة العربيَّة التي تحترق أهلها، شعبها يحترقون ألَمًا ويتحرَّكون تواصُلًا ونُصْرَةً للشعب السوري الشقيق الذي هو جزء عزيز علينا من قلب أمتنا، حيث الآن مأساة ليس كمثلها في تاريخ بلادنا وأمتنا شيء؛ يتعرَّض النساء والشيوخ والأطفال والشباب والمقدَّرات والأرض والبنية الأساسية، يتعرَّضون لآلة تدمير وَهُمْ عُزَّلٌ، وَهُمْ أبرياء لا يريدون إلا أن يُحْكَموا بما يُحبُّون من إرادتهم... اعْتُدِيَ عليهم، وطال الوقت، اعتُدِي على أعراض نسائهم وهُنَّ الحرائر... وهم ينادوننا الآن ونحن نقول لبَّيكِ يا سوريا، هذا الذي تفعلونه أنتم وتعبرون بما تفعلون عن شعب مصر، ولن أذكر لكم دعوتكم لي، إلا أنني أقول إن هذا اليوم هو يوم النُّصرة، يوم الإحساس بمعاناة شعب مسالم سعى للحق كإرادته المشروعة في حرية وحياة كريمة... وأؤكِّد أيُّها الأحباب على أننا لن يهنأ لنا بال ولن يغمض لنا جفن ولن تستقرَّ أجسادنا في مضاجعها؛ حتى نرى السوريين الأحرار يقيمون دولتهم الموحَّدَة على ترابهم الذي رَوَتْهُ دماء أطفالهم ونسائهم وشبابهم، ولا يَفْهَمَنَّ أحدٌ أنني أختزل النصرة الواجبةَ في يومٍ؛ بل هي كل يوم، وكل ساعة، حتى ينعم السوريون بالأمن والأمان كما نحبه لأنفسنا. لقد كنَّا معًا في عشرات السنين: في 1967 كانت مصر وسوريا، وفي 1973 كانت مصر وسوريا، وفي تَبَنّي القضية الفلسطينية كانت مصر وسوريا، وكنَّا –ومازلنا– نحمل هذه القضية –قضية فلسطين– معًا، وها هو جناحنا الشرقي... وها هي رئتنا الثانية التي نتنفس بها يصيبها ما يصيبها من جَوْرٍ ومن عدوان يتعرَّض له الشعب السوري، حملة إبادة وتطهير عرقي مُمَنْهَجٍ غَذَتْها قُوًى إقليميَّة ودوليَّة لا تعبأ بالإنسان السوري وكرامته ومعاناته، خلَّفَت –مع كل أسفٍ– وطنًا ممزَّقَ الأشلاء، وعشرات الآلاف من القتلى وملايين اللاجئين يعانون مرارة التهجير. الأمم المتحده تُقدِّر عدد الشهداء في سوريا بأكثر من 90 ألف شهيد حتى الآن، ومئات الآلاف من الجرحى والمصابين، وملايين من اللاجئين يعانون مرارة التهجير وقسوة الجوع والخوف والمرض والقتل المعنوي لهم ولأُسَرِهم ولأطفالهم... «سلامٌ من صدى بَرَدَى أَرَقُّ، وَدَمْعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمَشْقُ، وللحُرِّيَّةِ الحمراءِ بابٌ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يَدُقُّ»... وها نحن نَدقُّ باب الحريَّة مع سوريا، بكل ما نملك؛ دعمًا وتواصُلًا وتفاعُلًا وحَمْلًا معهم لمسؤولية تحريرهم من العدوان الإجرامي الذي يقع عليهم. إن مواقف مصر تجاه الأشقاء في سوريا مواقفُ أساسيَّةٌ مبدئيَّةٌ معروفةٌ، لا تخضع للمُزايَدَة ولا للمساوَمة، إنما تنبع من مواقف ثابتةٍ ومحدَّداتٍ واضحةٍ، أولا:

حُرْمَة الدم الإنساني، عموم الإنسان. يؤكِّد الشعب المصري على أن حُرمة الدم الإنساني عمومًا، ومنه الدم العربي الإسلامي، وترى مصر أن كرامة المواطن العربي من صميم كرامة المواطن المصري، وهذا أصل مُتجذِّرٌ في وعينا في مصر منذ القِدَم، دفعنا

فيه ثمنًا غاليًا من دماء أبناء شعبنا على مَرِّ التاريخ، ولا يمكن التهاون فيه ولا التخلِّي عنه ولا المساومة عليه لأي مصلحة مهما عظمت. تَذْكُرونَ، هَجَمَ التتارُ علي البلاد فجاءهم من مصر جنديٌّ يجود بنفسه، بالشام شَتَّتَهم وبَدَّدَ شَمْلَهم... هذه هي مصر في التاريخ، التي كانت دائما رِدْءًا... كانت دائمًا عَوْنًا وقائِدًا وحامِلًا لمشعل الحضارة العربية والإسلامية منذ أن كان للعرب كلمة، وحتى يومنا هذا. نحن في مصر الثورة –شعبًا وقيادةً ومؤسَّساتٍ رسميَّة ومدنية وقوى سياسيَّة– كلُّنا نقف صفًّا واحدًا مع الشعب السوري حتى ينال حقوقه المشروعة في التحرُّر من الاستبداد ومن بطش الطغاة والمجرمين، شعب مصر يدعِّم نضال الشعب السوري دَعْمًا مادِّيًّا ومعنويًّا، ومصر شعبًا، ومصر قيادَةً، ومصر شعبًا وجيشًا لن تترك الشعب السوري حتى ينال حقوقه وكرامته وسيادته على أرضه الموحَّدة الجامِعة لكل مُكوِّنات شعب سوريا العريق. شعب مصر يحترق أَلَمًا ويتحرَّك لِنُصْرَة شعب سوريا، وهو جزء من الأمة التي يُعْتَدَى عليها وتهدم بنيتها التحتيَّة. الآن، الشعب المصري يقول لكِ: لبَّيكِ يا سوريا، وما نحن فيه الآن تعبير حقيقي لشعب مصر تجاه الشعب السوري لتحقيق حريته.

ثانيًا: عدم التدخُّل في الشؤون الداخلية للدول؛ إن السياسة المصريَّة تجاه الأشقاء والأصدقاء تقوم على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، ولكنها تقف بكل ثبات وقوة مع خيارات الشعوب لنفسها، وحين يطلب منَّا الشعب السوري العَوْنَ فإننا لن نتخلَّف عن ذلك أبدًا، بل نُدعِّم نضال أشقائنا في سوريا من أجل الحصول على الحرية في اختيار مَن يحكمهم، ونحن نؤكِّد هنا أننا ندعِّم سوريا الموحَّدة تحت قيادةٍ جديدةٍ مُنْتَخَبَةٍ تمثِّل كافَّة أطياف الشعب السوري؛ لأن هذا مَطْلَبُ الشعب السوري الداخلي، كما هو مطلبٌ مصريٌّ للأمن القومي المصري الذي يبدأ من استقرار الأوضاع هناك، ولن يقبل الشعب المصري ما يرفضه شقيقه السوري من محاولة النظام الحالي في سوريا إنتاجَ نفسه من جديد ليكون جزءًا من المستقبل السياسي لسوريا. قُلنا، ونؤكِّد على أنه لا مجال للنظام الحالي في سوريا، لا مجال له في مستقبل سوريا على الإطلاق بعد ما ارتكبه من إجرام في سوريا قتلًا وتعذيبًا وهتكًا للأعراض وإهدارًا للكرامة الإنسانية.

ثالثًا: وحدة التراب السوري والشعب السوري بكل مكوِّناته، وهو جزء من النسيج العربي. تقوم سياسة مصر نحو شعب سوريا على اعتبار أن سوريا الجديدة جزء لا يتجزَّأ من الأمة العربيَّة والإسلامية بعد أن تتحقَّق –إن شاء الله– آمال الشعب السوري في إقامة دولته الحرَّة بإرادته الذَّاتيَّة، ومصر تحافظ، وتعمل على، وتتواصل من أجل وحدة التراب السوري، بعيدًا عن كل مستويات التصنيف والتقسيم على أي أسس كانت: جغرافيَّةً أو طائفية أو عِرْقِيَّةً، مهما كان حجم أو أَمَد الصراع، فلن نسمح أبدًا بتمزيق سوريا.

رابعًا: رفض التدخُّل الأجنبي عسكريًّا وسياسًّيا. إن من مبادئ السياسة المصرية الراسخة الآن رَفْضُ كل صور التدخُّل الأجنبي العسكري والسياسي في أي دولة، ورفض إملاء إرادة خارجية على الإرادة الذاتيَّة للشعوب والدول؛ ولذلك نرفض كلَّ صور التدخل الأجنبي في الأزمة السوريَّة بأي شكل من الأشكال، سواء أكان تدخُّلَ دُوَلٍ أو مليشيات أو بأي طرف من الأطراف. على حزب الله أن يترك سوريا، لا مكانَ ولا مجال لحزب الله في سوريا، هذا كلام جادٌّ: لا مجال ولا مكان لحزب الله في سوريا، لقد قرَّرنا اليومَ قطع العلاقات تمامًا وبتاتًا مع سوريا ومع النظام السوري الحالي، إغلاق سفارة النظام السوري في القاهرة، وسحب القائم بالأعمال المصري من دمشق، لقد وقف المصريون في عام 2006 عندما اعْتُدِيَ على لبنان، وقف الشعب المصري مع لبنان ومع حزب الله ضدَّ العدوان على لبنان، وها نحن اليوم نقف ضدَّ حزب الله في عدوانه على الشعب السوري.

خامسًا: حساب المصالح والمبادئ. هذه نقطة أَوَدُّ أن أُوضِّحَها: زايَدَ البعضُ على تواصلنا الطبيعي مع بعض القوى الإقليمية خلال العام الماضي لوقف نزيف الدم السوري، واعتبر البعض ذلك خَصْمًا من دعم مصر المباشر للقضية السورية، وإنني أقولها لكم: لم ولن تكون علاقاتنا التي تمليها علينا أحيانًا طبيعة الدور الإقليمي والعالمي، لم تَكُن أبدًا وما كانت ولن تكون على حساب مبادئنا التي نعتبر نصرة الشعب السوري من أهم قضايانا على الإطلاق في هذه المرحلة، وأُحِبُّ في هذا الجمع –ومن القاهرة– أن أُوجِّه عددًا من الرسائل عبركم جميعًا:

الرسالة الأولى إلى شعب مصر: يا شعب مصر العظيم، لقد ناصَرْتَ الشعوب واستقبلت الأحرار من كل مكان، وكنتَ خيرَ مُعينٍ لهم بعد الله سبحانه وتعالى على مَرِّ عشرات السنين، ولا تنسى يومًا أشقَّاءَك، ولم تتأخر ساعةً عن نُصْرَة المستضعَفين، يا شعب مصر... أوصيكم بالعائلات السورية خيرًا، وبمعامَلة الأشقَّاء السوريين المقيمين في مصر على الرحب والسعة كالمواطنين المصريين سواءً بسواء؛ فهذه أخلاق المصريين الكرماء النبلاء الذين يظهر معدنهم النفيس في وقت الشدائد، وقد طرحت مصر مبادرات عِدَّة لحلِّ الأزمة السورية، وعملت مع الأشقاء في تركيا والسعودية في هذا الشأن، واستقبلت القاهره وفودًا من ممثِّلي الشعب السوري، ومازال التشاور معهم مستمرًّا، ونرحب بكل جهد مثمر لحل هذا الصراع الذي طال أَمَدُه وتفاقَمت آثاره، ولقد أصدرت أيضًا هذه الأيام توجيهاتٍ للهلال الأحمر المصري لتدشين حملة مصرية بالتنسيق مع مؤسسات المجتمع المدني والجهات والجمعيات الخيرية المصرية لتكثيف برامج الدعم وإغاثة الجرحى واللاجئين السوريين في مصر والأردن وتركيا، وهم يحتاجون دعمكم. أقول للشعب المصري كله: إن هؤلاء اللاجئين وهذه المؤسسات الإغاثية تحتاج دعمكم الخيري، فلا تبخلوا عليهم، سيَّما ونحن على أبواب رمضان شهر الخير والجود والكرم.

الرسالة الثانية إلى الدول العربية والإسلامية: أيَّتها الأمَّة الواحدة التي قال الله فيها: « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»، الآن تُرْتَكَبُ في حق الشعب السوري أبشع الجرائم تحت سمعنا وبصرنا؛ لا لشيء إلا لأن هذا الشعب السوري يطالب بحقِّه الأصيل في الحرية والحياة الكريمة، وحقِّه المطلَق في اختيار مَن يحكمه، وإن استمرار ما يقع به الآن ما هو إلا استمرار في مسلسل الجرائم ضدَّ الإنسانية بكل التقارير الدولية والإقليميَّة التي نعرفها جميعًا. يجب أن نجلب للعدالة الدوليَّة كلَّ مَن شارك فيها أو وافق عليها أو تقاعس فيمنع وقوعها، ونحن أبناء أمَّة واحدة تراكَمَت عليها التحديات، لكننا مصيرنا واحد، وما بيننا من عوامل التلاقي كثيرٌ، ولا ينكر أحد كثيرًا من المواقف الشعبية والرسميَّة المقدَّرة منَّا جميعًا في العالم العربي والإسلامي في دعم الشعب السوري، لكن استمرار الوضع في هذا التدهور وهذا الإجرام يشير بأن الجهد المطلوب أكبر، والشعب السوري يستصرخنا صباح ومساء لمزيد من الإجراءات العاجلة الفعَّالة، ولقد بدأت مصر في الاتصال والتشاور مع كل الدول العربية والإسلامية لعقد مؤتمر قمه طارئ لنُصْرَة الشعب السوري. أقول مرَّةً أخرى للدول العربية والإسلامية: منذ بداية أَنْ تولَّيتُ المسؤولية آلَيْتُ أن أبدأ من موقعي ولا أظن أحدًا منكم سيتأخَّر، كلنا يجب أن نكون يدًا واحدةً ضدَّ هذا الإجرام في حق الشعب السوري. لِتَكُنْ هذه الأزمة إنذارًا لنا جميعًا لتوقظ حكمة الرأي وفضيلة العقل في حل كل الخلافات إنْ وُجِدَت بيننا بالحوار البنَّاء بالتعايش والتعاون على الخير لشعوبنا ومستقبل أجيالنا، وإنني على يقين بأن الجميع سيلبِّي.

الرسالة الثالثة إلى الضمير العالمي الحر، وأنا أتواصل مع الجميع في هذا العالم، ومنذ شهور طويلة لنجد مَخْرَجًا لهذه المقتلة وسفك الدماء السورية، أقول لهؤلاء: كم وقعت من ذبائح مروِّعة وإبادة جماعيَّة في بلاد كثيرة؛ في أفريقيا وأوروبا، وكان تأخُّر الحسم الدولي مصدرَ ألمٍ للإنسانية كلِّها، ولا نريد أن يتكرر هذا في المذابح السورية والإبادة الجماعيَّة التي تمارَس الآن بحق الشعب السوري صباح مساء، ولا يتصوَّرَنَّ أحدٌ من قادة العالم أن ضميره خارج نطاق التقصير طالما استمرَّت الحالة السوريَّة كذلك، وكذلك لن يعذرنا التاريخ ولا الأجيال إذا تهاوَنَّا في حق الشعب السوري.

أنهى مرسي خطابه فَعَلَت الهتافات والتأييد لمساندة الشعب السوري ضد رئيسه الظالم، واشتعل ستاد القاهرة. جلس طالب كليَّة الهندسة محمد فوزي ضمن صفوف الجماهير مستمتعًا بخطاب محمد مرسي، وبصحبته زميله بالكلية كريم يسري، والذي ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين، وبعد خطاب مرسي توالت خُطَبٌ لِدُعاة الأفكار الدينية، أمثال: محمد حسان ومحمد عبد المقصود، واللذان دَعَيا إلى حتميَّة الجهاد ونُصرة الشعب السوري وفقًا لتعاليم القرآن والسُّنَّة.

عقب نهاية الاحتفال تحدَّث محمد فوزي مع صديقه كريم:

محمد فوزي: خطاب الرئيس اليوم كان له معانٍ كثيرة، أهمُّها أنه يُوجِّه بفتح باب الجهاد في سوريا، وأَكَّدَ على كلامه المشايخ العِظامُ الذين تحدثوا من الناحية الشرعية، فحديث الرئيس والمشايخ ألهب مشاعري وزاد من حماستي. أفكِّر جدِّيًّا في الجهاد في سبيل الله لرفع الظلم والقهر عن المستضعفين في سوريا، فما أجمل من هذه منزلة! أن ينال المسلم الشهادةَ في سبيل الله ومن أجل رِفعة ونُصرة دين الله.

كريم: فعلًا... كان خطابًا يلهب المشاعر، ولكن ما رأيك في الانضمام لجماعتنا؟ فجماعة الإخوان لها عقيدة تؤمن بها، واليوم بفضل الله أصبح الحكم لنا، ومن الممكن أن تصبح عضوًا فعَّالًا في حزبنا «حزب الحرية والعدالة»؛ فأنت حقًّا يا صديقي مؤمن حقًّا، ولا تبغي سوي رِفْعَة دين الله، وهذا هو المبتغَى الحقيقي الذي نسعى إليه.

محمد فوزي: أنا يا كريم لديَّ رأي في موضوع الإخوان وفي أفكارهم، وبأن الرئيس لن يطبِّق شرع الله، وسيكون هناك مواءمات سياسية، وأنا لا أريد من هذه الدنيا لا منصَبًا ولا عضويَّةً في حزب، أنا كل ما أريده هو نَيْلُ الشهادة في سبيل الله.

كريم: كيف تقول ذلك؟ نحن الإخوان حركة إسلامية تسعى لتطبيق شرع الله عزَّ وجلَّ، يمكن أن يكون أسلوبنا مختلفًا، ولكننا –ولله الحمد– وصلنا للهدف الذي كنَّا نَصْبُو إليه معًا، وأصبح لنا رئيس مسلم مُلْتَحٍ. هل كنتَ تحلم بذلك؟ لكن هناك عقبات كبيرة، منها الشأن الداخلي والخارجي، وتحديات كبيرة، ولكن تلك أمور سنتغلَّب عليها بالوقت بمشيئة الله، وأمامَك النموذج التركي ناجِحٌ وخير دليل.

محمد فوزي: لكن تركيا لم تطبِّق شرع الله، هو تغيير كَراسٍ فقط، عمومًا هذا الموضوع يلزمه دراسة، سواء في الانضمام إلى الإخوان أو إلى أي تيار آخر، لكني أَعِدُكَ أن نستكمل حديثنا بشكل أوسع، لكن أنا الآن سأتركك وعلى موعد بإذن الله... السلام عليكم.

كريم: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

2013/6/16

التقى كريم يسري بالدكتور محمد ناجي (أحد أقطاب الإخوان المسلمين، وأحد مسؤولي «حزب الحرية والعدالة»)، وتحدَّث معه قائلًا:

كريم: السلام عليكم يا دكتور ،كيف حالكم؟

د. ناجي: وعليكم السلام يا كريم، الحمد لله في نعمة من الله.

كريم: خطاب الرئيس أمس كان جيِّدًا جدًّا، ومختَصَرًا، وحمل معاني كثيرة، وألهب حماسَ الشباب.

د. ناجي: نعم... فعلًا كان خطابًا موفَّقًا جدًّا، ولكن للأسف الشديد باقي القوى السياسية العلمانية لم تشارك في أي فعالية؛ نحن والسلفيُّون والتيار الإسلامي فقط مَن شارَكَنا.

كريم: القادم أفضل بإذن الله يا دكتور، عندي لحضرتك صديق ملتزم حديثًا، ومتحمِّس جدًّا، ويفكِّر بجدِّيَّة في المشاركة في حقل الجهاد السوري، وأنا باحاول أمنعه بكل السُّبل وباحاول إقناعه للانضمام لجماعتنا.

د. ناجي: لماذا تمنعه؟! اتركه للجهاد، الإخوان الآن أصبحوا صفوة المجتمع، ولن نفتح الباب على مصراعيه للمنافقين والأفَّاقين للحزب وللجماعة، بالإضافة لأننا نحتاج أن تقوم الأحزاب السياسية بإرسال أعداد كبيرة من الشباب للمشاركة في حقل الجهاد السوري من الشباب المتحمِّس لفكر الجهاد... اتركهم يذهبوا للجهاد، لعلَّ وعسى أن تثبت الفكرة لديهم، وبعد ذلك مَن يسألك على هذا الموضوع أَبْلِغْهُ بأن الجهاد أصبح فَرْضَ عَيْنٍ على القادر؛ لوجود إذن وليِّ الأمر، نحن ما نستطيع أن نفعله لهم هو تسهيل الأمر لسفرهم بطريقة غير مباشرة، ولنا أصدقاء كثيرون في تركيا يمكنهم مساعدتهم لخروجهم من تركيا إلى سوريا، ولا بُدَّ أن نشجِّع هذه الطريقة طالما ليسوا أعضاء في الجماعة، هناك شباب كثيرون سافروا إلى سوريا بعد استطلاع رأي عدد من المشايخ، ونحن على عِلْمٍ بذلك، وهناك اتفاق مسبق بيننا وبين هؤلاء الدُّعاة.

كريم: سؤال يا دكتور، ما هو المستهدَف من عملية الجهاد في سوريا غير نُصْرَة الشعب السوري؟

د. ناجي: لا... هنا الوضع مختلف... هههههه... أنا هافَهِّمَك لأنك شاب متحمِّس، وباعتبرك زي ابني، موضوع النصرة سواء للشعب الفلسطيني أو السوري، كنَّا نستخدمها أيام حكم مبارك كوسيلة للضغط على الحكومة لتحقيق مصالح ومكتسبات للجماعة، بالإضافة إلى إن هذا الكلام لقي قبولًا لدى الشارع، وتَحَصَّلنا من خلاله على تأييد وتعاطف للجماعة، وكان النظام السابق يستخدمنا كإخوان في بعض الحالات لإظهار رفض الشارع لقرار ضاغط من الخارج، إنها لعبة الكراسي الموسيقية يا ابني... أمَّا الآن فهناك خلاف أمريكي روسي حول سوريا، ونحن على خط جيد حاليًا مع الإدارة الأمريكية ولا بُدَّ من تأجيج الوضع في سوريا لإسقاط نظام بشار الأسد؛ لكسب ثقة الأمريكان، وهناك فرصة كبيرة لجماعة الإخوان في سوريا لتولِّي مقاليد الحكم عقب سقوط بشار.

كريم: التاريخ يعيد نفسه... الخلاف الأمريكي الروسي، ما حدث في أفغانستان، وهكذا فهمت، لكن هذا حديث جانبي لتستقيم فيك، أكيد يا دكتور... لديَّ سؤال آخر يا دكتور، ما موقف الجيش فيما يحدث داخليًّا وخارجيًّا؟

د. ناجي: الجيش والشرطة شوكة في ظهر الرئيس، وفي ظهر دولتنا الجديدة وامتدادها للدولة العميقة.

كريم: لماذا الجماعات الإسلامية في سيناء يقومون بتكفير الإخوان والرئيس والديمقراطية؟

د. ناجي: لهم وقت، ولهم دور يقومون به، ونحن لنا خَطٌّ جيد معهم، نتركهم يخيفون الجيش والشرطة، وكل شيء معمول حسابه، ومسيطرين عليهم، ولو لزم الأمر نغلق مصادر التمويل... المال والسلاح، وكافّة وسائل الدعم، سواء من الداخل أو الخارج من إخواننا في قطاع غزة. الشئ المهم يا كريم أن تقنع صديقك بالسفر لسوريا وتحاول أن ترسل أكبر عدد ممكن من الشباب غير الإخوان من خلال التأثير عليهم؛ لأن شباب الجماعة نريدهم في الداخل.

كريم: جزاكم الله خيرًا يا دكتور على وقتك الثمين، وتأكَّدْ بأننا نسير على دربكم.

د. ناجي: انت يا كريم ومثلك من الشباب من الجماعة أمل هذه الأمَّة وأمل الإخوان المسلمين...

كريم: أستودعكم الله يا دكتور الذي لا تضيع ودائعه.

د.ناجي: في أمان الله وحفظه.

2013/6/17 (عقب صلاة العصر)

التقى كلٌّ من محمد فوزي وكريم يسري بمسجد النور بمنطقة العبَّاسية، وما زالت فكرة الجهاد مسيطرةً على تفكير محمد، وهاجس شراء الآخرة بالدنيا... سأل كريم صديقه عن أسباب التفكير في فكرة الجهاد، وأقرَّ له بأنه مَرَّ بتجربة عاطفيَّة فشلت، وهو ما دفعه للتفكير في الجهاد، حيث إنه أحبَّ فتاة وتركته لظروفه الاجتماعية، وفَضَّلَت عليه شخصًا آخر قادِرًا على الزواج، وأنه لم يَعُدْ بعد هذه التجربة يطمع في مَلذَّات الدنيا؛ فاستغلَّ كريم هذه الفرصةَ وأخذ يحدِّثه عن الحور العِين والفوز بهنَّ، وبالجنَّة الخالدة ومنزلة الشهداء، ودَسَّ سموم الفتنة في عقله، حتى اقتنع تمامًا بالفكرة، وتحمَّس حماسًا شديدًا، وصرَّح لكريم بأنه يريد استفتاء أحد المشايخ في هذا الأمر قبل الإقدام عليه حتَّى يطمئنَّ قلبه تمامًا، ولم يُكذِّب كريم الخبر، وقام بالاتصال بالدكتور محمد ناجي، وأبلغه بأن محمد فوزي يرغب في الحصول على فتوى شرعيَّة للالتحاق في حقل الجهاد، ووجَّهه د. ناجي لمقابلة الدكتور جمعة مصطفى (مفتي الجماعة) عقب صلاة المغرب بمسجد العزيز بالله بمدينة نصر.

التقي الشابَّان بمفتي الجماعة، حيث أبلغاه بأنهما من طرف د. ناجي، فرحَّب بهما ترحابًا شديدًا، وأبلغهما بأن الدكتور ناجي حدَّثه عنهما، وقال:

مَن مِنْكُما يريد الجهاد في سبيل الله؟

محمد فوزي: أنا يا شيخنا.

د. جمعة: بارك الله فيك، أنت شاب قوي ومجاهد بإذن الله.

محمد فوزي: جزاك الله عنَّا خير الجزاء، هل الجهاد يا شيخنا فَرْضُ عَيْنٍ أم أنه فَرْضُ كِفايَة؟

د. جمعة: الجهاد فرض عين على الدولة المعتدَى عليها، وفرض كفاية على باقي دول المسلمين، أي إن الجهاد فرض عين على أهل سوريا، وهو فرض كفاية على باقي المسلمين طالما لا يوجد إذن ولي الأمر، أمَّا بعد خطاب الرئيس

مرسي فقد أصبح فَرْضَ عينٍ على القادر. قال تعالى «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»، وقال الله تعالى «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»، وقال رسول الله (ص) «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ؛ مَاتَ عَلى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفاقِ»، وقال أيضًا «يَجِدُ الشَّهيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَة»، وقال رسول الله (ص) «إِنَّ مِنَ الجَنَّةِ مائةُ دَرَجَةٍ أَعَدَّها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ للمُجاهِدِينَ في سَبيلِ اللهِ كَمَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْن بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ»، لِذَا؛ أطلب منك يا بُنَيَّ الثبات على هذه الطريقة، ولتمضِ كما مضى النبيُّ على هذا الطريق، واعلم أن الله مولانا، فهو نِعْمَ المولى ونعم النصير، وإن دولة الإسلام باقية بإذن الله، وأوصيك يا بُنَيَّ بتقوى الله عزَّ وجَلَّ، وقراءة قرآنه، والاستغفار، وقيام الليل... نِعْمَ العبد إنَّه أوَّاب.

محمد فوزي: بارك الله لك يا شيخنا، ونفع بعلمك العباد، قد أَنَرْتَ لنا الطريق.

وترك الشَّابَّان المسجدَ وهما في طريق العودة.

كريم: ما رأيك الآن؟

محمد: أنا الآن على قناعةٍ كاملةٍ بالجهاد بإذن الله... نِعْمَ الرأي.

كريم: ولكن... ماذا تفعل مع أسرتِكَ؟

محمد: هيَّ دي بقى المشكلة، لكن أنا بافكَّر في حل.

كريم: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.

محمد: ما رأيك يا كريم في التفكير بالمشاركة معي في حقل الجهاد في سبيل الله والفوز بالجنة والحور العين؟

كريم: لا... أنا صعب؛ علشان ظروفي الأسرة وأمي سِتّ كبيرة، وإن شاء الله لما الظروف تتحسّن هَاحَصَّلَك.

ثم قام كريم بالاتصال بالدكتور محمد ناجي وأبلغه بأنه تم إقناع محمد بالفكرة تمامًا، وأنه مُستعدٌّ للسفر لحقل الجهاد في أي وقت، وأبدى د. ناجي سعادته البالغة بذلك، وأنه سوف يُنهي إجراءات ضَمِّه في أسرع وقت...

عاد محمد فوزي إلى مسكنه في منطقة عين شمس، ودخل غرفته، وأخذ يبحث في الإنترنت عن إصدارات العملية الجهادية في سوريا، والانتهاكات التي تمارَس من جانب الجيش السوري للمدنين، وسماع الأناشيد الخاصَّة بتنظيم داعش، وأثناء ذلك دخلت عليه أمُّه:

الأم: بتعمل إيه وبتسمع إيه يا محمد؟

محمد: باسمع نشيد اسمه «صليل الصورام»، ودول مجاهدي سوريا الِّلي بيجاهدوا ضد نظام الأسد.

الأم: فعلًا النشيد جميل، ولكن هناك حرب.

محمد: الفيديو دا يا أمي بيتكلم عن قتل الأطفال وتهديم البيوت وتهجير الناس من منازلهم وخطف النساء واغتصابها.

الأم: لا حول ولا قوَّة إلا بالله، بس كل بلد فيها اللي مكفِّيها والأحوال في مصر مش على ما يُرام.. ربنا يسلم، أهم حاجة عندنا أنا وأبوك إنَّك تنهي دراستك على خير وتتخرَّج من كلية الهندسة وتشتغل وتساعدنا في تربية اخواتك؛ لأن أبوك تِعِب من كُتْر الشغل علشان يوفَّر لنا حياة كريمة.

محمد: والله يا أمي أنا عارف، بس أنا عاوز أشتري الآخرة بالدنيا...

الأم: يعني إيه كلامك ده يا ابني؟!

محمد: يعني أسافر أنتقم للناس اللي في سوريا دي...

الأم: إيه؟؟ انت بتقول إيه يا ابني؟ يعني احنا ضَيَّعنا عمرنا أنا وأبوك علشان نشوفك في مكانَة كويِّسة انت واخواتك، وانت عاوز تسيبنا وتسافر وتروح تحارب ناس ماتعرفهُمش وتموت؟ أنا ذنبي إيه أنا وابوك نِتْقِهر عليك؟؟ إيه اللي

جرالك يا ابني؟ من ساعةِ ما سِبْت زميلتك اللي انت كنت بتحبَّها وانت حالك اتبدِّل خالص، انت تصلِّي وتتديِّن ماشي... إنما كلامك ده مَيْطَمِّنش.

وهنا استشعر محمد أنه سوف تحدث مشكلة مع والدته من الكلام في هذا الموضوع؛ فردَّ عليها قائِلًا:

محمد: متقلقيش يا أمي، أنا بس الفيديو خلَّاني أتعاطف معاهم مش أكتر...

خَلَدَت الأم إلى فراشها، ولكنها في حالة قلق، ولم تستطع النوم في هذه الليلة.

صباح 2013/6/18

جلست السيدة فاطمة، والدة محمد فوزي، تتحدث مع زوجها عمَّا دار بينها وبين ولدها، وبأنه حدث له تغيُّرٌ مفاجئ، وصار تفكيره عدوانيًّا، وأنه ملتزمٌ الصمتَ دائمًا، وقالت له إنه يرغب في السفر لسوريا، وهنا اندهش الأب من كلامها واهتزَّت كل أرجائه، وقرَّر عقب العودة من العمل ضرورة الجلوس مع ابنه وتَفَهُّم نفسيَّته.

تلقَّى محمد اتصالًا هاتفيًّا من كريم، طلب منه الذهاب إلى مجمع التحرير، ومنه إلى مصلحة الجوزات لاستخراج جواز سفر عاجل، وأنه سيقابله في المكان، وبالفعل تقابل الصديقان، وأعطى كريم لمحمد مبلغ رسوم استخراج الجواز وتكاليفه، وأعطى له أَلْفَيْ جنيهٍ ليكونوا معه في جيبه لأي تكاليف أو مصاريف أخرى، وطلب منه عقب استلام الجواز أن يتوجَّه إلى السفارة التركيَّة ليقابل شخصًا تركيًّا هناك يُدْعَى «حاكان»؛ وهو مَن سيقوم بمساعدته في استخراج تأشيرة سياحية إلى تركيا.

مساء نفس اليوم

عاد محمد إلى مسكنه، قابلته والدته بالمنزل، وأخبرته أنها ستحضِّر له العشاء، ولكنه أبلغها بأنه تناول الطعام في الخارج، ودخل غرفة نومه، ظلَّ جالسًا أمام الكمبيوتر لمتابعة بعض المواقع الجهاديَّة، حتى عاد والده من عمله، ودخل عليه غرفته مباشرة، ودار بينهما الحوار التالي:

الوالد: ماذا بك يا محمد؟ أمُّكَ أخبرتني أنك تفكر في أمور غريبة، وعاوز أتكلِّم معاك كلام يا ابني من راجل لراجل.

محمد: أبي، أنا عاوز أسافر إلى حقل الجهاد السوري حتى أنال شرف الشهادة وأُرضي الله ورسوله.

الوالد: طيب مَفَكَّرْتِش ولو للحظة في أمك واخواتك، وانا، لمَّا تموت، مَفكَّرْتِش إحنا ضَيَّعنا عمرنا على تربيتكم، طيب ما هو يا ابني لما تتخرَّج وتبقى مهندس محترم وتساعدنا على المعيشة ما هو ده برضه جهاد في سبيل الله... أنا آي نعم معايا دبلوم وشغَّال شغلانة عادية في التأمينات... بس بافهم في الدين زيِّي زيَّك برضه، أنا يا ابني باشتغل ليل ونهار علشان ألبِّي طلباتكم، ما هو ده جهاد علشانكم، إنما انت تروح وتحارب وتموت علشان مين بقى؟!

محمد: أبي... الموت علينا حَقّ.

الوالد: أيوه... الموت علينا حق، ولكن ربنا بيقول: « وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»، يا ابني حرام عليك ما تشيِّلْنِيش أكتر من طاقتي، ولا تضيع حلمي الِّلي عشت علشانه طول عمري.

محمد: يا أبي العزيز، أنا أشتري الآخرة بالدنيا.

الوالد: أي آخرة يا ابني؟! وهُمَّا الناس دي أصلًا على حق؟ يا ابني حرام عليك اللي انت عاوز تعمله فينا ده، انت ليه مُصِرّ إنك تِتْعِب قلوبنا وتزوِّدِ هَمِّنا، أنا عاوز أعرف مين اللي زرع في مُخّك الأفكار السوده الهباب دي، ومين اللي أقنعك بيها، لله الأمر من قبل ومن بعد...

خرج الأب من الغرفه والدنيا تدور به، وقابلته زوجته وقالت له: لعلَّك تكون قد أخرجت من مخّه الأفكار دي، رد عليها: لله الأمر من قبل ومن بعد... عليكِ الفترة القادمة إنِّك تراقبي ابنك جيِّدًا وتقومي بتفتيش أغراضه بصفة دائمة.

2013/6/19

توجَّه محمد لمصلحه الجوزات واستلم جوازه، ثم ذهب للسفارة التركيَّة بشارع الفلكي بالقاهرة، وسأل أحد أفراد الأمن عن «حاكان»، الذي قابله، وقام بتدوين بياناته وحرَّر له تأشيرة سياحيَّة لتركيا، وبعدها التقى محمد بصديقه كريم بميدان العباسية، وأطلعه على تأشيرة السفر، فقام كريم بأخذ صورة من التأشيرة، وأبلغه بأنهم سيقومون بحجز تذاكر السفر وتحديد موعد المغادرة وإبلاغه به، وسأله عن أسرته، فأبلغه محمد بحالة انهيار أمه، وما تعرَّض له أبوه من ألم من هَوْلِ الصَّدمة، وبأنه لا يعلم ماذا سيفعلون عقب سفره، فنصحه كريم بألَّا يقولَ لهم شيئًا آخر عن هذا الموضوع حتى لا يقلِّلوا من همته وعزيمته؛ فهم لا يدرون عن منزلة المجاهد العظيمة عند الله. ثم قام كلٌّ منهما بالانصراف إلى منزليهما.

مساء نفس اليوم

عاد محمد إلى منزله، وقابل والدته، التي كانت في حالة يُرْثَى لها، ودار بينهم الحوار التالي:

الأم: انت كنت فين يا ابني طول اليوم، أنا مانِمْتِش لا انا ولا أبوك من امبارح من شدة القلق والخوف عليك.

محمد: متقلقيش يا أمي، مفيش حاجة... هي كانت فكرة طايشة نتيجة تأثُّري بالأحداث، إنما أنا معاكم وشِلْت الموضوع من دماغي.

التقطت الأم أنفاسها بعد سماع كلام ابنها، واستمرت في الدعاء له براحة البال والهداية والتوفيق، وعند حضور الأب سرعان ما بَشَّرَته بما قاله ابنها، فسجد لله شكرًا.

دخل محمد غرفته وأغلق الباب بدعوى أنه يريد الخلود للنوم، وبدأ في التفكير فيما هو فيه، وفي القرار الذي اتَّخذه والخطوات التي سعى لها، وتذكَّر محبوبته «ريهام»، وذكرياته معها، وما فعلته معه بعد أن تركته بعد حُبٍّ دام ثلاث سنوات للارتباط بشخص آخر، ميسور الحال، بضغطٍ من أهلها، وتذكَّر نفسه وهو معها بالجامعة، ومحاضرات الكلية، وحبه لها، وفرحته برؤيتها والتحدُّث معها، وأمسك بهاتفه وجلس ينظر لمحادثاته معها، وفجأة قرَّر أن يكلمها، واتصل بها على هاتفها، ظهرت له صورتها التي كان يضعها على هاتفه كبروفايل لرقمها، ولكنها لم ترد عليه إلا بعد ثلاث مرات من الاتصال، قامت بالرد، ولكنه عندما سمع صوتها لم يستطع التحدث ولو بكلمة واحدة، وانهمرت الدموع من عينيه، وهي تردِّد آلو... آلو... حتى تمالك أعصابه ورَدَّ عليها، وطلب منها ألَّا تغلق الخط، وهي رَجَتْهُ أن يتركها لأنها الآن مرتبطة ولا يليق أن يتصل بها، ولكنه اعتذر لها كثيرًا واستحلفها بكل ما هو جميل كان بينهما أن تقابله، يريد رؤيتها للمرة الأخيرة ولو لدقائق معدودة. بعد إلحاح شديد منه وافقت على المقابلة، بعد أن وعدها بأن تكون الأخيرة.

قابلته صبيحة اليوم التالي في محطة مترو «السادات»، خفق قلبه بمجرد أن رآها، ولكنَّه جمَّد دموعه في عينيه وتماسك، ودار بينهما هذا الحوار المأساوي هذا:

ريهام: أنا جيت يا محمد علشان انت وعدتني إن دي آخر مرة، أرجوك... قولّي عايز إيه بس؟!!

محمد: ريهام... أنا مسافر سوريا للجهاد في سبيل الله... أنا حياتي من غيرك أصبح لا طعم لها، وبقيت باموت في الدقيقة مِية مرَّة، فقرَّرت بإني كده ميت وكده ميت، فأموت شهيد في سبيل الله، بدلًا من إني أقدم على شيء يغضب الله زي إني أموت منتحر مثلًا...

ريهام: ـ ليه كده يا محمد؟ فكَّر كويِّس! جهاد إيه، انت بتعمل في نفسك كدا ليه (وهي في حالة بكاء شديد) أنا مَكَنْش بمزاجي إني أسيبك... انت عارف قد إيه أنا حبِّيتَك وبينَّا ذكريات جميلة، وعشت معاك أجمل أيام عمري وأهلي هُمَّا اللي ضغطوا عليَّا، وإني لازم أَرْتبِط علشان سِنِّي وعلشان بداية حياتي، وهُمَّا كمان مضغوطين يا محمد... احنا ثلاث بنات، وأنا أكبرهم، أنا لو ما ارتبطتِش أنا باوْقِفْ حال اخواتي البنات، وكمان خطيبي مفيهوش عيب، شخص محترم وكمان مرتاح مادِّيًّا وجاهز، وكمان أنا عاوزَة أقولَّك إن اللي كان بينَّا ده حب مراهقة، وكان لازم ينتهي، إنْ آجِلًا أم عاجِلًا، وإن شاء الله ربنا يكرمك وتشتغل وربِّنا يعوَّضك بأحسن مني.

محمد: يااااه... بسهولة كدا! انتي متناقضة، انتي حبِّتيني والَّلا حب مراهقة؟ انتي أصلًا لم تحبيني، بدليل إنك انتي وأهلك مجرد ما لقيتوا الشخص المناسب بِعْتُوني، وانتي أول واحدة باعتني، عمومًا أتمنَّى ليكي السعادة في أي مكان تكوني فيه ومع أي حد تختاريه، وهتبقى لي ذكريات جميلة عشتها معاكي، وهتفضلي الحب الخالد والمخلَّد في حياتي الفانية.

انتهي لقاؤهما بانسحاب محمد من المكان وقلبه دامٍ، وأجهش بالبكاء على كل شيء: على حبه، وحياته، وعلى فراقه لمحبوبته التي وإن كانت لم تحبه ولكنه هو أحبَّها؛ لذا فلا حياةَ بدونها، وزاد عزمه على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وبينما كان غارقًا في بحر تفكيره، إذا بهاتفه يَرِنُّ، كان «كريم»، الذي أبلغه بأنه سيسافر بعد غد من مطار القاهرة الساعة الثالثة عصرًا، وأنه سيقابله قبيل سفره لإعطائه جواز السفر والتذاكر وكل شيء يخصُّه، ويُعرِّفه بشخصية عظيمة من كوادر الجماعة.

عاد الشاب الباكي إلى منزله، وبَدَت عليه علامات الحزن والقلق، وأبلغ والدته بأنه يريد الذهاب مع أصدقائه إلى مدينة الإسكندرية لقضاء يومين أو ثلاثة في شقة أحد أصدقائه للخروج من الضغوط والحالة النفسية التي هو عليها، واستحسنت الأم الفكرة جدًّا، ووعدته بعرض الأمر على أبيه، مؤَكِّدةً أنه لن يمانع في ذلك.

2013/6/20

استيقظ محمد من نومه مبكِّرًا، أسرع بجمع متعلِّقاته وملابسه في حقيبة كبيرة، ولكنه رأى أنه لو قام بجمع كل أغراضه سيشكِّك أمَّه فيه؛ فقد أخبرها بأنها رحلة تستغرق يومين فقط، فجمع الأغراض المهمة فقط في حقيبته الصغيرة، وقبل خروجه من المنزل أخذ من أمه مبلغ خمسمائة جنيه قد تركها أبوه له قبل الذهاب للعمل، وقام بالسلام على أمه وعانقها عناقًا عميقًا وطويلًا، حتى استشعرت الأمُّ القلقَ وطلبت منه ألَّا يغادر، لكنَّه قام بتهدئتها ووعدها بأنها مجرَّد رحلة لمدة يومين أو ثلاثة لا أكثر، واحتضن أشقَّاءه وهمس في آذانهم أن يضعوا أباهم في أعينهم، والأم تنظر إليه وتبكي، وغادر الشابُّ المنزلَ مُسْرِعًا حتى لا تظهر عليه أي تعبيرات حزينة.

عقب مغادرته المنزل التقى بكريم، الذي قام باصطحابه لمقابلة د. ناجي، وأبلغه كريم بأن الدكتور ناجي هو مَن سَهَّل له كلَّ إجراءات سفره. قام الكادر الإخواني بمصافحته، وأكَّد بأنه على الحق المبين، وبأنه أحد شباب هذه الأمة الصالحين، وأنه في مكانة من الصعب أن تتوافر لأي شخص، محفِّزًا الشاب بدعوى نُصرَة الإسلام والمسلمين، دون أن يشعر أنَّه يَزُجُّ به في آتون الهلاك من أجل أهداف ومصالح سياسية.

ودَّع محمد فوزي الدكتور ناجي وكريم وانطلق للَّحاق بطائرته.

مطار أتاتورك

وصل محمد على طائرة الخطوط التركية القادمة من القاهرة إلى مطار أتاتورك، وفور وصوله تقدَّم لإنهاء إجراءات الوصول عبر الجوازات، حيث تمَّ إيقافه بمعرفة السلطات التركية، وتمَّ إرساله إلى أحد المكاتب الأمنية بالمطار، وقابله هناك أحد الضُّبَّاط الأتراك، وسأله عمَّا إذا كانت زيارته هي الأولى لتركيا، والغرض من الزيارة؛ فانتابت محمد حالة من القلق الشديد، وظنَّ أنه قد وقع في قبضة الأمن، إلَّا أن الضابط تبسَّم له وأخذ يحدِّثه بِلُغَةٍ عربيَّة ركيكة قائلًا إنه يُدْعَى «حميدات»، وهو من طرف الدكتور ناجي، وقام بإعطائه جهاز تليفون محمول وبداخله خط تركي، وطلب منه تشغيل الخط فور خروجه من المطار، وسيتصل به أحد الأشخاص ويعطيه التعليمات.

خرج محمد من المطار وقام بتشغيل هاتفه، وفور تشغيله تلقَّى اتصالًا من أحد الأشخاص برقم مجهول، وحدَّثه بِالُّلغَةِ العربيَّة، أخبره أن اسمه «أيوب التركي»، وأنه سوف يقوم بتوفير مسكن له في اسطنبول، وأن عليه الانتظار في المطار.

بعد نصف ساعة التقى التركي أيوب بمحمد، وحدث تعارُفٌ بينهما، وقام أيوب باصطحابه والتوجُّه به إلى أحد المطاعم التركية، حيث طلب له كبابًا تركيًّا، انتابت محمد حالة من السعادة، وأثناء تناول طعامهم جلس أيوب أمامه يراقبه وهو يأكل، وقال له: ألم تتناول الأطعمة التركية من قبل؟ فردَّ محمد نافِيًا. «وما رأيك بها؟» سأله أيوب، أكَّد محمد على أنها طيبة للغاية، فبادره التركي أيوب قائلًا: «فما بالك بأكل الجنة؟!!»، ألهبت الكلمةُ وجدانَ الشاب وزادت حماسته للجهاد في سبيل الله، وقام أيوب بإعطائه مبلغ 300 دولار، ووجَّهه لأن يستقلَّ الأتوبيس إلى منطقة «تقيم» بوسط اسطنبول، وأن يتَّجه لفندق «بلو تقسيم» وسيجد هناك حجزًا باسمه، حيث سيقيم فيه لمدة ليلة واحدة، وسيكونون بانتظاره.

استقلَّ محمد الأتوبيس وتوجَّه للفندق، فوجد الحجز باسمه بالفعل، كان الفندق عبارة عن فندق 3 نجوم، تحدث محمد إلى موظف الاستقبال باللغة العربية، فردَّ عليه الشاب التركي بلغة عربية ركيكة، طالِبًا جوازَ سفره، وسأله عمَّا إذا كانت أولى زياراته لتركيا أم لا، وما الغرض منها، فأعطاه محمد جواز سفره وأقرَّ بأنها أول مرة، والغرض منها السياحة،

وانتابت محمد حالة من القلق من حديث موظف الاستقبال، فأعطاه ظهره وبدأ يتطلَّع لبهو الاستقبال بالفندق حتى يقطع الحديث مع موظف الاستقبال تَجنُّبًا لأي أسئلة أخرى، أنهى موظف الاستقبال إجراءات التسكين، ونادى على حامل الحقائب لاصطحابه إلى الغرفة (13) الكائنة بالدور الثاني، وصل محمد للغرفة، وقام بالاستلقاء على السرير، وبدأ يتأمَّل سقف الغرفة، ثم توجَّه إلى شرفة الغرفة لمشاهده الحياة الصاخبة والأضواء الساطعة في كل مكان في المنطقة المكتظة بكل أنواع البشر من مختلف الجنسيات، وبدأ في الحديث مع نفسه: ما هذه الدنيا الجميلة!! هل يمكنه الاستمتاع بها؟ هل سلك الطريق السليم تارِكًا الدنيا وزخرفها، أم أنه انخرط في طريق اللاعودة؟

خلد محمد إلى نوم عميق، لم يشعر بما يحدث حوله، ثم استيقظ على صوت رنين هاتف الغرفة لإيقاظه لتناول وجبة الإفطار، نهض محمد من نومه وأسرع في النزول؛ نظرًا لجوعه الشديد، وأثناء تناوله إفطاره تلقَّى رسالة من رقم تركي على تطبيق «الانستجرام» تطلب منه التوجه إلى رصيف (E11)، وأن يستقلَّ القطار المتجه إلى مدينة أثينا، وألَّا يتَّصل بأحد ولا يختلط بأحد، وأن يرسل رسالة تفيد بوصوله، وسوف يتلقى رسالة أخرى ببقية التعليمات. اتَّبع محمد توجيهات الرسالة التي تلقاها، وتوجَّه نحو المحطة المتفق عليها سابقًا، واستقلَّ القطار، ومكث في الطريق لمدة ساعتين حتى وصل إلى المدينة السياحية، نزل من القطار وقام بإرسال رسالة تفيد بوصوله بالفعل، وجاءه الرد سريعًا، طلبوا منه التوجه إلى محطة الأتوبيس رقم (142)، واستقلاله، والنزول في محطة «أورنك»، وعقب وصوله يسير لآخر الشارع سيجد مسجد «أورنك»، بجوار المسجد يوجد مقهى اسمه «ورد»، سيجد شخصًا هناك يُدْعَى «يوسف بوربك»، وهو مَن سَيتولَّى أمره. نفَّذ محمد التعليمات الموجَّهة له حرفيًّا، وعند وصوله المقهى سأل عن يوسف، وأبلغه بأنه محمد من مصر، فقام يوسف بالترحيب به، وسأله عن جواز سفره، وعلى الرغم من القلق الذي انتاب محمد إلَّا أنه أخرج جواز سفره وأعطاه له. تحدَّث يوسف معه وقرَّر له ضرورة اختيار كنية له، وحذَّره من إخبار أي شخص باسمه الحقيقي، مهما كانت الثقة بينهما، فاختار محمد اسم «أبو دجانة»، قال له يوسف: «أنت من الآن (أبو دُجانة المصري)». استقل أبو دجانة ويوسف سيارة الأخير إلى منزل يحمل رقم (35) في أحد الشوراع الجانبية القريبة من شارع مسجد «أورنك»، وكانت البداية...

البداية

كان المنزل عبارة عن مبنى قديم على الطراز العثماني، مكوَّن من طابقين، وبه سِتُّ غرفٍ متوسِّطة الحجم، وصالة كبيرة، دخل أبو دجانة بصحبة يوسف، الذي قام بتقديمه للحاضرين، كان عددهم ثمانية أشخاص: أبو آدم التركي مسؤول المنزل، أبو صلاح المصري، أبو أمل المصري، أبو عبادة السيناوي، عز الدين الفلسطيني، أبو عمر الكويتي، أبو صهيب السعودي، وأبو عبد الله الروسي.

أخبره أبو آدم مسؤول المنزل أنهم يطلقون على المنزل اسم: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

قال لهم يوسف إن هناك شخصًا سوف يزورهم قريبًا، هو المسؤول الأمني، وسوف يعقد معهم لقاءً قبل سفرهم إلى سوريا، وأوضح أن «أبو آدم» هو المسؤول عن توافر سبل المعيشة من الطعام والشراب، والاحتياجات الأخرى لهم طوال الفترة القادمة، ثم اصطحب أبو آدم «أبو دجانة» إلى غرفته التي شارك فيها «أبو عبد الله الروسي».

صباح اليوم التالي وصل يوسف إلى منزل الأرقم كما يطلقون عليه، وبصحبته رجل يبلغ من العمر 38 عامًا، قوي البنيان، تبدو عليه علامات الالتزام، وبدأ يوسف الحديث معهم قائلًا: أحب أن أُعرِّفَكم بالأخ «أبو الحسن» المسؤول الأمني داخل تركيا.

كان أبو الحسن يتكلم لغة عربية جيدة، قال: «مرحبًا بمن تواجد بالدار»، أوضح لهم أنه تركي الأصل، وقال لهم إن الله اصطفاهم من أجل نصرة الإسلام والمسلمين في سوريا، وأَخْذِ حق النساء التي اغتُصِبَت، والأطفال التي شُرِّدَت على يد «الأسد» الكافر، وأن الجهاد أعظم فريضة في الإسلام. أخبرهم أنهم متواجدون في هذا المكان لفترة غير محدودة حتى يجدوا وسيلة لإرسالهم للانضمام لصفوف المجاهدين، وأن اختيار اسم الدار بمسمَّاها «الأرقم بن أبي الأرقم» له مدلوله، حيث بدأت الدعوة من الدار الأصلية سرًّا في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن اختيارهم

الاسم جاء تَيَمُّنًا بذلك، وأشار لهم إلى ضرورة وجود عدة إجراءات أمنية، لا بُدَّ من تنفيذها وعقاب مَن يخالفها، أهمُّها عدم الإفصاح عن أسمائهم الحقيقية، فيما بينهم، أو لأي شخص آخر في تعاملاتهم، سواء هنا أو هناك في سوريا. عدم الدخول لتصفح الإنترنت نهائيًّا، أو مشاهدة الإعلام. عدم الاتصال بأسرهم أو رؤيتهم بأي وسيلة اتصال، وبأن هذا المكان فرصة مناسبة لصفاء النفس وهدوء الأعصاب والتأمُّل في الكون ورب الكون والاستعداد لما هم مقدمون عليه، وضرورة الإكثار من قراءة القران والاستغفار.

ووجَّه أبو الحسن بعد ذلك حديثه إلى يوسف وإلى «أبو آدم»، مخبرًا إياهما بإمكانية أن يتيحا للمجاهدين مشاهدة بعض الأفلام والدروس الجهادية، التي تنفع في تهيئة النفس، كما طلب منها توفير احتياجاتهم من مأكل ومشرب ومواد علمية بهدف تثبيت العقيدة، ونبَّه إلى ضرورة التمسك بِخُلُق المسلمين الأوائل.

وانصرف أبو الحسن عقب لقائه معهم.

القاهره 2013/6/29

حالة من الاحتقان تجتاح الشارع المصري، تعالت الأصوات الداعية إلى الخروج في مظاهرات لإسقاط حكم الإخوان.

تكالُب الإخوان على السلطة أوجد خلافًا مع كافة أطياف الشعب، وضعف شخصية مرسي أمام رغبات الجماعة أوجد حالة من الاستهتار والتهكُّم عليه، خاصَّة بعد زيادة أزمات الكهرباء ونقص المواد البترولية، أسباب كثيرة لدى الشعب جعلته يشتعل غضبًا، وبدأت «حركه تمرد» تسري في كافة مدن ومحافظات الجمهورية كما تسري النار في الهشيم.

تفاقُم الأمر في الشارع دعا مكتب الإرشاد إلى عقد اجتماع عاجل بمقر الجماعة بمنطقة المقطم، بحضور كلٍّ من مرشد التنظيم وقياداته كاملة.

استعرض المهندس نائب المرشد الوضعَ الحالي ووجود حالة من الغليان، ووجَّه بضرورة بدء خطوات مجابهة لهذا التحُّرك من خلال الاستعانة بعناصر الجماعة والموالين لها وعناصر الجماعة الإسلامية، وخاصَّة في مناطق محافظات الصعيد.

تساءل المرشد: وماذا عن موقف التيار السلفي من الوقوف معنا؟

أوضح نائب المرشد بأن موقف حزب النور غير واضح، ولا يمكن التعويل عليه، لكن هناك بعض المدارس السلفية بخلاف حزب النور يمكنهم الانضمام لنا. أكَّد نائب المرشد أيضًا في حديثه عن موقف الجيش والشرطة من الأحداث أنه لا يمكن التعويل عليهم، وعلى أنه قَلِقٌ من موقف الانحياز للمظاهرات وإرادة الناس.

المرشد: ما هو موقف الرأي العام الخارجي؟

فردَّ نائب المرشد: موقف الولايات المتحدة وعدد من دول الاتحاد الأوروبي داعم لنا بصورة شديدة، وأي محاولة من الجيش للانقضاض على السلطة سيواجَه برفض دولي أكيد.

وجّه المرشد حديثه إلى د. محمد ناجي، وأخبره بضرورة الاتصال مع إخوانهم في تركيا وفي قطاع غزة، طالبًا منهم الاستعداد لأي مساعدة في حال الحاجة إليهم.

دخل سكرتير المرشد مقاطِعًا الاجتماع: سيدنا... هناك دعوات على الفيس بوك الآن تفيد بأن المظاهرات تتوجَّه إلى مكتب الإرشاد لمحاصرته، وبدأت بالفعل المظاهرات تقترب من منطقه المقطم...

انتفض الدكتور محمد ناجي من مكانه: «أنا كان عندي شك في ذلك... وأنا عامل حسابي على ذلك».

بادر ناجي بالاتصال بكريم وطلب منه التوجُّه إلى مقر الجماعة ومعه المجموعة المعَدَّة سلفًا لحماية المقر ومعهم أسلحتهم.

سأل المرشد: أيُّ أسلحة؟

فردَّ ناجي: أسلحة للدفاع عن مكتب الإرشاد، وعنده أعداد كبيرة من الشباب جاهزون للدفاع، وهم في منطقة قريبة من هنا.

وصل كريم بصحبته حوالي 200 شخص، وبالفعل قاموا بالانتشار في طوابق مكتب الإرشاد السِّتَّة، وكذا اعتلاء سطح المبنى وبحوزتهم أسلحه آلية وبنادق خرطوش. وصلت المظاهرات إلى منطقة المقطم أمام مبنى مكتب الإرشاد، وقام المتظاهرون بمحاصرته من كل اتجاه.

انتابت أعضاء مكتب الإرشاد حالة من الخوف والفزع، خاصة مع تزايُد أعداد المتظاهرين واستمرار الهتاف (يسقط يسقط حكم المرشد)، اقترح أحد أعضاء مكتب الإرشاد بالاتصال بوزارة الداخلية لإرسال قوات لحمايتهم، رفض د. ناجي ذلك مُعَلِّلًا أن الداخلية لن تفعل شيئًا، وأكد على ضرورة حماية أنفسهم بأنفسهم.

بدأت مناوشات ما بين المتظاهرين وقوات حماية مقرِّ الجماعة، فبادر أحد العناصر المسلحة بإطلاق أعيرة ناريَّة من داخل المبنى؛ ممَّا أدى إلى سقوط أحد المتظاهرين قتيلًا، وازدادت حِدَّة التظاهرات، وبدأ المتظاهرون بإلقاء الحجارة

على مبنى الجماعة، وقام عناصر الجماعة بإخراج أعضاء مكتب الإرشاد من باب خلفي للمبنى، بينما رفض د. ناجي الخروجَ وظلّ ماكثًا داخل المقر برفقته المجموعة الشبابية المتواجدة.

ازدادت حِدَّة المواجهات وتصاعَد العنف بين الطَّرفين. أدَّت المواجهة إلى مقتل حوالي 8 أشخاص وإصابة حوالي 70 شخصًا. أشعل المتظاهرون النار في مبنى مكتب الإرشاد؛ ممَّا اضطرَّ عناصر حماية المقرِّ للانسحاب.

وصلت قوات الأمن إلى مقر مكتب الإرشاد، وقامت بمحاصرة المكتب، وقاموا بمحاولة صرف المتظاهرين. ازدادت حِدَّة الغضب بسبب سقوط قتلى أمام مكتب الإرشاد؛ ممَّا وضع الجماعة في موقف لا يحسدون عليه، وتداولت وسائل الإعلام ما حدث بشكل موسَّع، وحاولت الجماعة احتواء الموقف، فقاموا بعقد مؤتمر صحفي بأحد فنادق القاهرة في محاولة لتجميل الموقف والصورة نوعًا ما. تحدَّث أمين عام التنظيم قائلًا إن الجماعة تحترم الإعلام والشعب المصري، وأن هناك جهات تحقيقٍ ستتولَّى التحقيق في الموضوع وإدانه أيٍّ من المتسبِّبين فيما حدث.

لم يَلْقَ حديث مؤتمرهم ارتياحًا لدى المتظاهرين بالشارع، بل زاد من حدَّة الاحتقان ضدَّ جماعة الإخوان وضدَّ مرسي، وأصبح إقصاء الإخوان هو السبيل الوحيد لإعادة الدولة المصرية.

يوم 2013/6/30

من الصباح الباكر امتلأ ميدان التحرير عن بَكْرَة أبيه.

خرج المصريون أمام قصر الاتحادية وجميع ميادين مصر مطالبين برحيل مرسي، بلغ عدد المتظاهرين في هذا اليوم قُرابة 37 مليون مواطن، في نفس الوقت الذي قام فيه مرسي بإلقاء خطاب مطوَّل أمام أنصاره بالمركز القومي للمؤتمرات، استغرق قرابة ساعتين ونصف، دعا خلاله المعارضة للحوار وتشكيل لجنة تعديل الدستور والمصالحة، مهدِّدًا بقطع كل الأصابع التي تعبث في الوطن، وطالب المعارضة بالسَّيْرِ سويًّا في طريق التغيير الواضح، متجاهِلًا مطالب الشارع التي رفعتها حملة تمرُّد عبر استمارات سحب الثقة من مرسي ومطالبته بالرحيل، خاصَّةً بعد صدور بيان من جبهة الإنقاذ ردًّا على خطاب مرسي جاء فيه: «إن خطاب الرئيس عبَّر عن عجزٍ واضح بالإقرار بالواقع الصعب الذي تعيش مصر فيه، وفشله في إدارة شؤون البلاد»، وتمسَّكَت بإجراء انتخابات رئاسية جديدة.

كل هذا والشعب يترقَّب موقف القوات المسلحة؛ التي يعتبرها مُعامِلَ الترجيح في هذه المعادلة... وقد أصدرت بيانها الأول بالفعل.

بيان من القيادة العامَّة للقوات المسلحة:

شهدت الساحة المصرية والعالم أجمع أمس مظاهرات وخروجًا لشعب مصر العظيم ليعبِّر عن رأيه وإرادته بشكل سلمي وحضاري غير مسبوق.

لقد رأى الجميع حركة الشعب المصري وسمعوا صوته بأقصى درجات الاحترام والاهتمام... ومن المحتَّم أن يتلقَّى الشعب ردًّا على حركته وعلى ندائه من كل طرف يتحمَّل قدرًا من المسؤولية في هذه الظروف الخطرة المحيطة بالوطن.

إن القوات المسلحة المصرية كطرف رئيسي في معادلة المستقبل وانطلاقًا من مسؤوليتها الوطنية والتاريخية في حماية أمن وسلامة هذا الوطن– تؤكِّد على الآتي:

إن القوات المسلحة لن تكون طرفًا في دائرة السياسة أو الحكم، ولا ترضى أن تخرج عن دورها المرسوم لها في الفكر الديمقراطي الأصيل النابع من إرادة الشعب.

إن الأمن القومي للدولة مُعرَّضٌ لخطر شديد إزاء التطوُّرات التي تشهدها البلاد، وهو يلقي علينا بمسؤولياتٍ كلٌّ حسب موقعه؛ للتعامل بما يليق من أجل دَرْءِ هذه المخاطر.

لقد استشعرت القوات المسلحة مُبكِّرًا خطورة الظرف الراهن وما تحمله طيَّاته من مطالب للشعب المصري العظيم... ولذلك فقد سبق أن حدَّدَت مهلة أسبوعٍ لكافة القوى السياسية بالبلاد للتوافُق والخروج من الأزمة، إلَّا أن هذا الأسبوع مضى دون ظهور أي بادرة أو فعل... وهو ما أدَّى إلى خروج الشعب بتصميم وإصرار، وبكامل حريته، على هذا النحو الباهر الذى أثار الإعجاب والتقدير والاهتمام على المستوى الداخلي والإقليمي والدولي .

إن ضياع مزيد من الوقت لن يحقِّق إلا مزيدًا من الانقسام والتَّصارُع الذى حذَّرنا ولازِلنا نحذِّر منه.

لقد عانى هذا الشعب الكريم ولم يجد مَن يَرْفُقُ به أو يحنو عليه، وهو ما يلقي بعبء أخلاقي ونفسي على القوات المسلحة التي تجد لزامًا أن يتوقَّف الجميع عن أيِّ شيء بخلاف احتضان هذا الشعب الأبيِّ الذى برهن على استعداده لتحقيق المستحيل إذا شعر بالإخلاص والتفاني من أجله.

إن القوات المسلحة تُعيد وتكرِّر الدعوة لتلبية مطالب الشعب وتمهل الجميع 48 ساعة كفرصة أخيرة لتحمُّل أعباء الظرف التاريخي الذي يمرُّ به الوطن الذي لن يتسامح أو يغفر لأي قوى تقصر في تحمُّل مسؤولياتها.

وتهيب القوات المسلحة بالجميع بأنه إذا لم تتحقَّق مطالب الشعب خلال المهلة المحدَّدة فسوف يكون لزامًا عليها استنادًا لمسؤوليتها الوطنية والتاريخية واحترامًا لمطالب شعب مصر العظيم أن تعلن عن خارطة مستقبل وإجراءات تشرف على تنفيذها وبمشاركة جميع الأطياف والاتجاهات الوطنية المخلصة، بما فيها الشباب الذى كان ولا يزال مفجِّرًا لثورته المجيدة... ودون إقصاء أو استبعاد لأحد.

تحية تقدير وإعزاز إلى رجال القوات المسلحة المخلصين الأوفياء الذين كانوا ولا يزالوا متحمِّلين مسؤوليتهم الوطنية تجاه شعب مصر العظيم بكل عزيمة وإصرار وفخر واعتزاز.

حفظ الله مصر وشعبها الأبي العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مساء 2013/7/1 (اسطنبول– مقر المخابرات التركية)

دعا السيد حيدر أوغلو مدير المخابرات التركية إلى اجتماع عاجل بمقر مكتبه لمتابعة تطوُّرات الأحداث بصفة عامَّة، وداخل مصر بصفة خاصة، دخل أفراد جهاز المخابرات التركية ومعهم مسؤول ملف مصر: فاتح أربكان، على مدير المخابرات وهو في حالة اضطراب، فعاجلهم بالأسئلة: ماذا حدث في مصر؟ كيف تمَّ احتشاد هذا الكَمِّ من المواطنين بالشارع؟ كانت التقارير التي تُرسَل إلينا من مصر تفيد بأن الإخوان مسيطرون على الوضع الداخلي بمساعدة التيار الإسلامي، لكن بيان القوات المسلحة المصرية يوحي بأنه سوف يتم إسقاط حكم الإخوان...

أجابه فاتح قائلًا: كان هناك مناوشات وحراك سياسي، لكن الأمور تغيَّرَت في ظرف أسبوع واحد، وإذا استمرَّت التظاهرات لن تمرَّ لفترة طويلة، لكن الخطيرالآن بالفعل هو بيان القوات المسلحة الذي أعطى أملًا كبيرًا للمتظاهرين في تحقيق مطالبهم.

مدير المخابرات: لا بُدَّ من وضع خطة للتحرُّك وفقًا للظروف والمستجدَّات الحالية، وعرض الأمر على الرئاسة التركيَّة في نقاط محدودة.

بدأ فاتح أربكان في استعراض الأوضاع الحالية، وموقف العناصر المؤيِّدة لجماعة الإخوان المسلمين، والعناصر المعارضة لهم، وشرع في عرض الخطة التي يقترح تنفيذها، بعد أن طالب مدير المخابرات بضرورة الاتصال بالدكتور محمد ناجي مسؤول الاتصال بالجماعة، ومعرفة أبعاد الموقف منه لنا أوَّلًا بأوَّل. كانت الخطوط العريضة للخطة تقوم على النقاط الآتية:

حَشْد الدول الأوروبية الصديقة لتركيا لاتخاذ موقف ضدَّ ما يحدث في مصر، ووصفه بأنه انقلاب عسكري وليس ثورة شعبية. التوعية الإعلامية في كافة وسائل الإعلام الدولي، وعلى رأسها الجزيرة والوكالات الإخبارية العالمية لترسيخ هذا التوجُّه. ضرورة ثبات عناصر الجماعة وأنصارهم لأطول فترة ممكنة، وإحداث حالة من الفوضة المختَلَقة لإشعار المواطنين بأن إزاحة مرسي صنعت حالة فوضويَّة وانفصالًا داخليًّا. سعي رئاسة الجمهورية لمحاولة اختراق صفوف

الجيش عن طريق إمكانيَّة إزاحة وزير الدفاع المصري ووزير الداخليَّة وتعيين بديل لهم في محاولة لإحداث صراع داخل صفوف الجيش والشرطة. استمرار حالة التظاهر لمؤيِّدي مرسي وإحداث حالة من الانقسام الداخلي. ارتكاب أحداث عنف ضد الممتلكات ودور العبادة المسيحيَّة لاستغلالها كفرصة للتدخُّل الدولي بداعي أن هناك اضطهادًا للأقليات والأقباط.

أبدى حيدر أوغلو موافقة مبدئية على تلك الخطة، وقال بأنهم سوف يغيِّرونها وفقًا للظروف والمستجدَّات على الأرض، ثم سألهم عن «أبو الحسن» الضابط المسؤول عن الملف السوري، فأخبره فاتح أنه ينتظر بالخارج، فسمح له بالدخول، وسأله عن الوضع في سوريا.

أبو الحسن: الوضع جيِّد جدًّا، ويتم تغذية الصراع في سوريا بوجود عدد من الجماعات المتشددة تعمل على الأرض وتبدي تقدُّمًا ملحوظًا في عملية إنهاك الجيش السوري، وهناك مناطق الآن تحت السيطرة الكاملة لتلك الجماعات، وجماعة القاعدة أيضًا تسيطر على عدة مناطق، كما أن داعش أصبحت تسيطر على مناطق كبيرة أخرى، ويتم تقديم الدعم لها وتوفير كافة احتياجاتهم من سلاح أو أفراد، ويتم الآن تجهيز مجموعات أخرى للدفع بهم في المعارك هناك.

مدير المخابرات: الملف السوري مهمٌّ جدًّا بالنسبة لتركيا، لا بُدَّ من إزاحة النظام السوري الحالي والعمل على تأجيج الصراع الداخلي تمهيدًا لضمِّ سوريا، ساعتها سنتمكن من إنهاء مشكلة الأكراد، سواءً في سوريا أو في تركيا، والقضاء على حزب العمال الكردستاني، وتحقيق أهداف الأكراد في تكوين دولة مستقلة على الأرض السوريَّة بعيدًا عن تركيا، بالإضافة إلى السيطرة على كافَّة دول الربيع العربي؛ بهدف إعادة المجد العثماني الذي حكم نصف العالم لعدَّة قرون، وهذا هو المستهدف الرئيسي؛ لذا يجب أن نحرص على المتابعة الجيدة للملفات الآتية:

1. الملف الليبي.
2. الملف التونسي.
3. الملف السوداني.

والملف المصري والسوري على رأس الأولويات الحالية. نحن في حالة انعقاد دائم لمتابعة الوضع يومًا بيوم، وسوف أعرض الأمر على الرئاسة التركيَّة والتشاور بشأنها.

2013/7/2 (القاهرة)

تلقَّى الدكتور محمد ناجي من خلال هاتف (ثريًّا) اتصالًا من مسؤول الملف المصري في المخابرات التركية فاتح أربكان، استفسر خلاله عن الأوضاع الحالية في مصر في ظل المظاهرات الحالية، خاصَّة مع المهلة التي أعطاها الجيش 48 ساعة لحل الأزمة.

استعرض د. ناجي الوضع الحالي، وأخبره أن الجيش والشرطة مسيطرون على معظم مرافق الدولة، وأنه كانت هناك محاولة من جانب الجماعة لشَقِّ صفوف الجيش وعرض أمر عزل وزير الدفاع، إلا أن المحاولة باءت بالفشل، ورَفَضَ مَن عُرِضَ عليهم الأمر ذلك بإصرار.

قاطعه فاتح قائِلًا: لا بُدَّ من اتخاذ الإجراءات الآتية:

- جمع المؤيدين للجماعة في ميدان خاص بهم، ميدان أو أكثر، ويكون تمركزهم في العاصمة القاهرة دون غيرها من المحافظات، والتركيز على الجانب الإعلامي لتلك المظاهرات، ويتم التفاهم مع قناة الجزيرة على ذلك.
- إحداث حالة من الاحتكاك مع المعارضين لإيهام الكتلة الصامتة أن هناك عواقب وخيمةً إزاء ذلك.
- الاستعانة ببعض التيارات المدنية المؤيِّدة للإخوان لوصف ما يحدث بأنه انقلاب عسكري مكتمل الأركان.
- ضروره الاختباء في مكان آمن خلال المرحلة المقبلة لاحتمال تعرُّض قيادات الجماعة لعمليات اعتقالات موسَّعة.

سأله ناجي: وماذا عن دور تركيا في المرحله المقبلة؟

فاتح: سيتم الضغط سياسيًّا على قيادات الجيش من خلال المنظَّمات والكيانات الدولية لاتخاذ موقف رافض لما يحدث في مصر، ولن تدَّخر الدولة التركية المال ولا الجهد لدعم استمرار حكم الإخوان.

ناجي: إذا سقط حكم الإخوان في مصر فسيسقط التنظيم الدولي في كل دول العالم، وسيضيع حلم عمره مائة عام...

القاهرة 2013/7/3

انتهت مهلة الثماني والأربعين ساعة التي منحها الجيش لكافة الأطراف، وكان لزامًا عليه أن يردَّ على تجاهُل الرئاسة والإخوان لتلك المهلة، وزادت الضغوط الشعبية على الجيش لإيجاد حل لتلك الأزمة.

ظَهَر الفريق عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع، ومن خلفه ممثِّلو التيارات المعارضة والشباب والأزهر والكنيسة، وممثِّلين عن بعض الأحزاب الدينية، وألقى خطابه الذي قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم... شعبَ مصر العظيم، إن القوات المسلحة لم يكن في مقدورها أن تَصُمَّ آذانها أو تَغُضَّ بصرها عن حركة ونداء جماهير الشعب التي استدعت دورها الوطني، وليس دورها السياسي، على أن القوات المسلحة كانت هي بنفسها أول من أعلن –ولا تزال– وسوف تظلُّ بعيدة عن العمل السياسي.

ولقد استشعرت القوات المسلحة –انطلاقا من رؤيتها الثاقبة– أن الشعب الذي يدعوها لنصرته لا يدعوها لسلطة أو حكم، وإنما يدعوها للخدمة العامة والحماية الضرورية لمطالب ثورته، وتلك هي الرسالة التي تلقَّتها القوات المسلحة من كل حواضر مصر ومُدُنها وقُراها، وقد استوعبت بدورها هذه الدعوة وفهمت مقصدها وقدَّرت ضرورتها، واقتربت من المشهد السياسي آمِلَةً وراغِبَةً وملتزمة بكل حدود الواجب والمسؤولية والأمانة.

لقد بذلت القوات المسلحة خلال الأشهر الماضية جهودًا مُضْنِيَةً بصورة مباشرة وغير مباشرة لاحتواء الموقف الداخلي وإجراء مصالحة وطنية بين كل القوى السياسية بما فيها مؤسسة الرئاسة منذ شهر نوفمبر 2012، بدأت بالدعوة لحوار وطني استجابت

له كل القوى السياسية الوطنية، وقوبل بالرفض من مؤسسة الرئاسة في اللحظات الأخيرة، ثم تتابعت وتوالت الدعوات والمبادرات من ذلك الوقت وحتى تاريخه.

كما تقدَّمَت القوات المسلحة أكثر من مرة بعرض تقدير موقف استراتيجي على المستوى الداخلي والخارجي، تضمَّن أهمَّ التحديات والمخاطر التي تواجه الوطن على المستوى الأمني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ورؤية القوات المسلحة بوصفها مؤسسة وطنية لاحتواء أسباب الانقسام المجتمعي وإزالة أسباب الاحتقان ومجابهة التحديات والمخاطر للخروج من الأزمة الراهنة.

في إطار متابعة الأزمة الحالية اجتمعت القيادة العامة للقوات المسلحة بالسيد رئيس الجمهورية في قصر القبة يوم 22/ 6/ 2013 حيث عرضت رأي القيادة العامة ورفضها للإساءة لمؤسسات الدولة الوطنية والدينية، كما أكَّدَت رفضها لترويع وتهديد جموع الشعب المصري.

ولقد كان الأمل معقودًا على وفاق وطني يضع خارطة مستقبل، ويوفِّر أسباب الثقة والطمأنينة والاستقرار لهذا الشعب بما يحقِّق طموحه ورجاءه، إلا أن خطاب السيد الرئيس ليلة أمس وقبل انتهاء مهلة الـ 48 ساعة جاء بما لا يلبِّي ويتوافق مع مطالب جموع الشعب؛ الأمرَ الذي استوجب من القوات المسلحة استنادًا على مسؤوليتها الوطنية والتاريخية التشاور مع بعض رموز القوى الوطنية والسياسية والشباب ودون استبعاد أو إقصاء لأحد، حيث اتَّفق المجتمعون على خارطة مستقبل تتضمَّن خطوات أولية تحقق بناء مجتمع مصري قوي ومتماسك، لا يُقصي أحدًا من أبنائه وتيَّاراته وينهي حالة الصراع والانقسام وتشتمل هذه الخارطة على الآتي:

– تعطيل العمل بالدستور بشكل مؤقت.

– يؤدي رئيس المحكمة الدستورية العليا اليمين أمام الجمعية العامة للمحكمة.

– إجراء انتخابات رئاسية مبكِّرة على أن يتولَّى رئيس المحكمة الدستورية العليا إدارة شؤون البلاد خلال المرحلة الانتقالية لحين انتخاب رئيس جديد.

– لرئيس المحكمة الدستورية العليا سلطة إصدار إعلانات دستورية خلال المرحلة الانتقالية.

– تشكيل حكومة كفاءات وطنية قوية وقادرة تتمتع بجميع الصلاحيات لإدارة المرحلة الحالية.

– تشكيل لجنة تضم كل الأطياف والخبرات لمراجعة التعديلات الدستورية المقترحة على الدستور الذي تم تعطيله مؤقَّتًا.

– مناشدة المحكمة الدستورية العليا لسرعة إقرار مشروع قانون انتخابات مجلس النواب والبدء في إجراءات الإعداد للانتخابات البرلمانية.

– وضع ميثاق شرف إعلامي يكفل حرية الإعلام ويحقق القواعد المهنية والمصداقية والحيدة وإعلاء المصلحة العليا للوطن.

– اتخاذ الإجراءات التنفيذية لتمكين ودمج الشباب في مؤسسات الدولة ليكون شريكًا في القرار كمساعدين للوزراء والمحافظين ومواقع السلطة التنفيذية المختلفة.

– تشكيل لجنة عليا للمصالحة الوطنية من شخصيات تتمتَّع بمصداقية وقبول لدى جميع النخب الوطنية وتمثِّل مختلف التوجهات.

تهيب القوات المسلحة بالشعب المصرى العظيم بكل أطيافه الالتزامَ بالتظاهر السلمي وتجنُّب العنف الذي يؤدِّي إلى مزيد من الاحتقان وإراقة دم الأبرياء، وتحذِّر من أنها ستتصدَّى بالتعاون مع رجال وزارة الداخلية بكل قوة وحسمٍ ضدَّ أي خروج عن السلميَّة طبقًا للقانون وذلك من منطلق مسؤوليتها الوطنية والتاريخية.

كما توجِّه القوات المسلحة التحية والتقدير لرجال القوات المسلحة ورجال الشرطة والقضاء الشرفاء المخلصين على دورهم الوطني العظيم وتضحياتهم المستمرة للحفاظ على سلامة وأمن مصر وشعبها العظيم.

حَفِظَ الله مصر وشعبها الأبِيَّ العظيم... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

استقبلت جموع الشعب المصري الخطاب بفرحة عارمة، وتعالت الهتافات للقوات المسلحة والشرطة في كافَّة ميادين القاهرة والمحافظات، وظلَّ الشعب طوال تلك الليلة متواجِدًا في الشوارع... حقًّا إنه يوم من أعظم أيَّام التاريخ المصري... يوم الانتصار على المتاجرين بالدين وبالقيم والمبادئ، والغارقين في بحور الزور والبهتان، الثعالب التي

لبست ثياب الواعظين، خفافيش الظلام وفئران الحقول، فقد عادت مصر الوطن الذين كانوا يريدونه دماره... عادت مصر الإسلامية المسيحية، تحتضن كل عابد لله، وبطريقته.

اسطنبول– مقرُّ المخابرات التركيَّة

دخل فاتح أربكان مكتب حيدر أوغلو بصورة مفاجئة: الجيش المصري أعلن بيان بعزل محمد مرسي وعطَّل الدستور، اتَّسعت عينا أوغلو من المفاجأة، سأله مندهشًا: حدث بالفعل؟!

أكَّد فاتح الخبر: نعم...

أصابت حيدر أوغلو حالة من الغضب الشديد، جعلته يبدو وكأنه يكلم نفسه:

«ما حدث انقلابٌ عسكريٌّ مكتمل الأركان... هذا القرار سوف يفسد كلَّ مخطَّطاتنا خلال الفترة الماضية إزاء المنطقة، والرئاسة التركية ستكون غاضبة تمامًا».

قاطعه فاتح قائلًا إنه قبل الخطاب تمَّ التحفظ على محمد مرسي في مكان غير معلوم، وانقطع الاتصال به، وكذلك تمَّ القبض على عدد من قيادات الجماعة وبعض مسؤولي القنوات الفضائية في توقيت متزامن مع إذاعة الخطاب.

قال حيدر: إنها خطة مُحكمَة للسيطرة على مقاليد الأمور... لا بُدَّ أن تحافظوا على الاتصال بالدكتور ناجي باستمرار، وضرورة التأكيد عليه بضرورة الاختباء في مكان آمن؛ لأنه عنصر الربط معنا، والقبض عليه سيجعل أمر

التواصل مع الجماعة بمصر صعبًا جدًّا، أريد متابعة خطتنا لحظة بلحظة، ومدِّي بمعلومات حول ما يحدث بمصر أوَّلًا بأوَّل.

القاهرة– ميدان رابعة العدويَّة

فور سماع بيان القيادة العامَّة للقوات المسلحة، أصيب أنصار مرسي بحالة انهيار وبكاء وعويل؛ رجالًا ونساءً. صعد كريم إلى المنصة التي أقاموها في الميدان، وأمسك بالميكرفون، وظلَّ يهتف: «باطل... يسقط يسقط حكم العسكر»؛ في محاولة منه للعمل على تثبيت مواقف المؤيِّدين، وتعالت الهتافات خلفه.

أصيب عدد من قيادات الجماعة بحالة من الاهتزاز النفسي، غير متخيِّلين ما حدث وكأنه كابوس لا يمكن تصديقه، كيف في عام واحد يخسرون ما ظلُّوا مائة عام يخطِّطون له، وكيف كانت تحت أيديهم وأصبحت قطوفها دانية، وفي لحظة ينتهي كل شيء؟!

سارع الدكتور ناجي بالاتصال بمسؤوله فاتح أربكان؛ لينقل له صورة حيَّةً عمَّا يحدث على أرض الواقع، أخبره أن هناك حالة من الإحباط لدى كافَّة مؤيِّدي الرئيس المعزول، وأن كافَّة مؤسسات الدولة، مثل القضاء والشرطة والإعلام، والشارع مع قرار الجيش.

أكَّد فاتح في حديثه على ضرورة الاستماتة على أماكن تمركزهم في منطقة رابعة والنَّهضة لأطول فترة ممكنة، وكذلك تحويل تلك المنطقة إلى ثكنة عسكرية، وإدخال أكبر كمية من الأسلحة، نصح بإدخالها بواسطة نساء الجماعة، والعمل على تثبيت عقيدة كافَّة المتواجدين، وعدم السماح بدخول أي قواتٍ شرطية أو عسكريَّة، وأكد فاتح على ناجي بضروره بقائه بعيدًا عن المواجهة؛ لإدارة شؤون المرحلة، وعدم استخدام أرقام هواتفه المحمولة؛ خشية القبض عليه، والاستعانة بأشخاص غير مرصودين أمنيًّا للتحرُّك وإيصال أي رسائل منه لقيادات الجماعة، ولْيَتْرُكْ أمر المجتمع الدولي لهم وسيمارسون ضغوطهم عليه.

توجَّه ناجي إلى مسجد رابعة العدوية وبصحبته كريم ومعهم عدد من الشباب، وعقد معهم لقاء تناول فيه كيفية تأمين ميدان رابعة، ومتابعة المراحل القادمة.

قال ناجي: يجب أن نحكم السيطرة على كافَّة مداخل ومخارج الميدان، وكذلك يجب أن نسيطر على الطُّرُق المؤدِّية إليه، مع وضع دوريات للتأمين على مدار الـ 24 ساعة، وتفتيش كافة المتردِّدين على الميدان، سواءً كانوا إخوانًا أو مؤيِّدين. علينا أن نقسِّم الميدان إلى مجموعات من الخيام، على أن تكون هناك خيمة لكل محافظة، يتولَّى مسؤول كل محافظة متابعة شؤونها. كما نريد أن تخرج مظاهرات متعددة من الميدان، كل منها تمثل عددًا من المحافظات، وسيتم تأمين تلك المظاهرات من خلال مجموعة يتولَّاها كريم، تتواجد تلك المجموعة في مقدِّمة وخلف وعلى جوانب المظاهرة؛ لحمايتها مستعينين بالأسلحة.

قاطعه كريم متسائلًا: هل مسموح لنا أن نستخدم هذه الأسلحة في حال الحاجة إلى ذلك؟

د. ناجي: بالطبع، كل وسيلة ندافع بها عن أنفسنا مسموح باستخدامها طبعًا.. دعني أكمل خطة العمل... لا بُدَّ أن ننجح في صناعة ظاهرة ينتبه لها العالم، يفهم من خلالها أن هناك تيَّارًا رافضًا لما حدث، وأن ما حدث هو انقلاب عسكري؛ لذلك يجب أن تُبَثَّ كافَّة الفعاليات –سواء في رابعة أو النهضة– من خلال التليفزيون، ونحن نعمل على تأمين ذلك بالفعل، وعليكم المساعدة عندما يُطلَب منكم ذلك... كذلك سيتم توزيع مجموعة من الشباب في

مجموعات لاحتلال كافة أسطح المساكن والعمارات المحيطة بالميدان، خاصة التي تحت الإنشاء، وعمل تحصينات عليها، ورصد أي تحرُّكات قريبة من محيط الميدان من الجيش أو الشرطة، مع نشر عدد من الموالين على نطاق واسع خارج الميدان لرصد أي تحركات من جانبهم، ولا ننسى أننا ملتزمون بتوفير احتياجات الميدان من طعام وشراب وكهرباء؛ لاستمرار فاعليات الاعتصام...

قاطعه كريم مجدَّدًا بسؤاله: هل هناك فائدة ممَّا يحدث يا دكتور؟

استنكر ناجي السؤال قائلًا: أخبرتك ألَّا تقاطعني... ثم كيف لا توجد فائدة؟! هل فقدت إيمانك بالجماعة يا كريم؟ نحن لسنا وحدنا، هناك دول كثيرة تؤيدنا، وتؤمن بقضيتنا، وهناك حالات شبيهة في دول كثيرة قبلنا، كان المجتمع الدولي يؤيِّد فيها الشرعيَّة على الدوام، وقام بإقصاء الانقلاب العسكري، لكن لا بُدَّ أن يكون لديهم قناعة وثِقة في أن الجماعة ثابتة ومؤمنة بحقها المشروع في الحكم.

انفض الاجتماع، وبدأت عناصر الجماعة في تنفيذ المخطَّط الذي تمَّ إعداده، والسيطرة على مداخل ومخارج الميدان، ومسجد رابعة، وحولُّوه لمستشفى ميداني، وفتحت الجماعة خزانتها لتوفير كافَّة الاحتياجات بكميات كبيرة، مع المساعدات التي تلقاها المعتصمون من قبل عدد من المؤيِّدين للجماعة، بخلاف احتلالهم لبعض المطاعم الموجودة في محيط الميدان، وإجبار العاملين فيها على تقديم الوجبات الغذائية لتوزيعها على أتباعهم... من جهة أخرى كانت قيادات الجماعة تداوم على إلقاء خطابات حماسية ملتهبة من المنصة، وسط تعالي أصوات الحشود بالأناشيد والهتافات الإخوانية الخاصة بحركة حماس، كان من بين الخطباء: صفوت حجازي ومحمد البلتاجي وطارق الزمر، حاولوا أن يوهموا المتواجدين بقرب عودة مرسي، وبأنه سوف يكون هناك عقاب كبير لكل مَن انقلب على الرئيس مرسي، في إطار رفع الروح المعنوية لدى المعتصمين.

اسطنبول– دار الأرقم بن أبي الأرقم:

دخل يوسف التركي وبصحبته أبو آدم مسؤول الدار موجِّهًا كلامه لـ «أبو دجانة» ورفاقه داخل دار: سمعتم عمَّا حدث في مصر؟!

ردَّ أبو دجانة: ماذا حدث؟

- استولى الجيش على السلطة، وعَزَلَ الرَّئيس محمد مرسي، وهناك أحداث كبيرة وحراك في الشارع المصري.

سأل أبو دجانة: يا الله! إذًا... ما الموقف الشرعي لما يحدث حاليًا، هل يجوز قتال الجيش المصري أم لا؟

تجاهل يوسف كلام «أبو دجان» وغيَّر الحديث قائِلًا: إن دوركم محدود... لا توجد أي تعليمات حتى الآن بشأنكم.

قال أبو صلاح المصري: ما يحدث قضيَّةٌ يجب تَجَنُّبها؛ منعًا للخلط بينها وبين مسألة جهادنا في سوريا.

يوسف التركي: هناك شخصٌ يُدْعَى رحيم سيتولَّى إعطاءكم دورة في الشأن الأمني، سيأتيكم بعد قليل.

مرَّ وقت قصير قبل أن يصل رحيم بالفعل، وقام بجمع الأشخاص المتواجدين داخل الدار، وبدأ عمله معهم، حدثهم عن الأمن، وتعريفه، وفوائده، قال إن الأمن يحافظ على استمرارية الجماعة، ونجاحها، وجذب الناس إليها، أخبرهم أن مفاجأة العدو هي أساس النصر، وهي واحدة من مبادئ الحرب، وأن جمع المعلومات اللازمة مهمٌّ لوضع خطة لمهاجمة العدو.

تحدث أيضًا عن الأمن من الناحية الشرعيَّة، وأنه أحد أسباب النصر، وأن أهم ما في الحرب هو جمع المعلومات عمَّن تحاربه، وبأن الحرب خدعة، وأن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بها الكثير من النماذج التي تؤيد ذلك، وأصدق مثالٍ نوم سيدنا علي بن أبي طالب بدلًا من رسولنا الكريم أثناء الهجرة النبوية، وأوضح لهم أن هناك عددًا كبيرًا من الأمور سوف يتعلمونه خلال الدورة الميدانية عن الأمنيَّات، عن كيفية جمع المعلومات وما هي الإجراءات التي يتبنَّاها التنظيم لضمِّ أفرادٍ جددٍ لهم، وتأمين الوثائق، ودرجات سرية تلك الوثائق، وكيفية تأمين المنشآت من الأخطار، والحماية الداخلية والخارجية، والمقابلة السرية، والاتصالات، وطرق الحفاظ عليها، وأن تلك المعلومات هي جزء من الدورة الأمنية التي سوف يتم الحصول عليها فور وصولهم إلى مسرح الأحداث، وقام بإعطائهم مذكِّرة مُتَرْجَمَة للُّغة العربية للاطلاع عليها، ودراستها.

المخابرات التركية– اسطنبول:

عقد السيد حيدر أوغلو لقاءً ثنائيًّا بينه وبين فاتح أربكان مسؤول الملف المصري؛ لبحث تطوُّرات الموقف في مصر، ودراسة الردود العالمية إزاء الوضع بها، وأن الإدارة التركية تسعى في كل الاتجاهات بالتنسيق مع قطر للضغط على المجتمع الدولي إزاء الأحداث، حيث استعرض فاتح أن الأمم المتحدة أصدرت بيانًا جاء فيه: «ينبغي توجيه إدانة قويَّة لما يتردَّد عن وجود قتلى وجرحى، وكذا اعتداء الجيش المصري ضد المتظاهرين، إضافة إلى أعمال تدمير الممتلكات، وذلك رغم ما يبدو أن الغالبية العظمى من أولئك الذين يشاركون في الاحتجاجات يقومون بذلك سلميًّا».

- وما موقف الاتحاد الأوروبي؟

ردَّ بأنه قد صدر تقرير مقتضَب جاء فيه «إننا ندعو جميع القوى السياسية في مصر إلى التزام الهدوء وتجنُّب العنف ومباشرة الحوار السياسي».

وعن الموقف الإفريقي قال فاتح إن نيجيريا فقط هي التي أصدرت تصريحًا حادًّا، جاء فيه: «على مصر التزام الهدوء بعد أحداث العنف الأخيره وأن الخارجية النيجيرية على تواصُلٍ دائم مع السفير النيجيري في مصر، وتراقب التطوُّرات بعناية، ولكن ليس هناك شيء يدعو للقلق، وإن السلطات المصرية سوف تحتوي الأمر».

وأصدرت استراليا تصريحًا مفاده وصول تقارير تفيد أن المتطرفين الإسلاميين هدَّدوا بممارسة العنف ضد الكنائس والمجمعات القبطية، ونحن نحثُّ كافَّة الأطراف إلى نبذ العنف أثنا القيام بمسيرات في الشوارع، وعلى الجيش والشرطة في مصر ضبط النفس للحفاظ على النظام العام.

سأل مدير المخابرات عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية، فقرَّر فاتح بأن الرئيس الأمريكي باراك أوباما أصدر تصريحًا جاء فيه أن الرئيس مرسي رئيس منتَخَب، ولكن على حكومة مرسي الآن احترام المعارضة وجماعات الأقليَّات، وأصدر وزير الدفاع الأمريكي بيانًا أعرب فيه عن اعتراضه على قرارات الجيش المصري، قائلًا: «لسنا متأكدين تمامًا ممَّا سيحدث داخل مصر».

سوريا أيضًا أصدرت بيانًا، لكنها أيَّدت ما حدث، مؤكِّدةً على أن نموذج الإخوان المسلمين في السلطة قد سقط إلى غير رجعة، وأن نموذج حكم الإخوان في مصر قد تُوفِّي، والإخوان لديهم قدرة استباقية على التخريب، وقبل ذلك استطاعوا التخريب في سنة ما تمَّ بناؤه منذ ثورة جمال عبد الناصر...

رئيس الوزراء التونسي صرَّح قائلًا: «عليَّ التخوُّف من انتقال ما يحدث في مصر إلى تونس»، واستبعد سيناريو مشابهًا لما يحدث عندهم، ووصف ما يحدث في مصر بأنه انقلاب عسكري عن الشرعية.

عقب استعراض الموقف من جانب فاتح أربكان تحدَّث حيدر أوغلو، قائلًا إن التصريحات الأوروبية ليست حاسمة إزاء ما يحدث، وكلها تصريحات دبلوماسية، والموقف غير مطمئن، ثم توقَّف فجأة وسأله:

- ما رأيك فيما يحدث؟

- لا بُدَّ من تدبير مجزرة يكون فيها ضحايا بأعدادٍ كبيرة، نستطيع من خلالها التنديد بما يحدث، وكذلك يجب الدفع وراء اتخاذ الدول الأوروبية والإفريقية موقفًا موحَّدًا ضدَّ ما يحدث في مصر، والضغط على قائد الجيش المصري لإنهاء الأمر. يجب أن يتم ذلك بالتنسيق مع الدكتور محمد ناجي. كذلك لا بُدِّ أن نستدعي مسؤول الملف التونسي والليبي لدراسة موقفهم خلال المرحلة المقبلة خشية حدوث ما حدث في مصر، وقتها يكون مخططنا قد ذهب هباءً.

القاهرة 2013/7/7 (أحداث الحرس الجمهوري)

تلقَّى الدكتور ناجي التعليمات من فاتح للإعداد للمجزرة التي طلب منه التحضير لها؛ فقام ناجي باستدعاء كريم وبعض شباب الإخوان المسلمين معه، وأسرَّ إليهم أن لديه معلومات مؤكدة تفيد بتواجد الرئيس داخل مقر الحرس الجمهوري، ولا بُدَّ من اقتحام مقر الحرس وإخراج الرئيس بالقوة؛ فما أُخِذَ بالقوة لا يُسْتَرَدُّ إلا بالقوة... وأوضح لهم ضرورة الإعداد لعملية الاقتحام، وأنه يجب أن يتم أيضًا الإعداد لمسيرة حاشدة إلى مقر الحرس.

انتابت الشباب المعتصم حالة من الحماس، وبدأ الدكتور ناجي في جمع مسؤولي المكاتب الإدارية للتنظيم وتوزيعهم ضمن أعداد كبيرة من المتظاهرين للقيام بمسيرة فجر اليوم، بحيث تضم الشباب المتحمِّسين، وحرص على مدِّهم بالأسلحة اللازمة؛ بهدف الدفاع عن أنفسهم، وقاموا بالتوجه إلى مقر الحرس الجمهوري لإخراج الرئيس من محبسه.

فجر يوم 2013/7/8

تجمَّعت أعداد كبيرة من المؤيدين للرئيس المعزول أمام مقر الحرس الجمهوري، واشتعل الهتاف لمرسي، ضدَّ الجيش والشرطة. قامت القوات المسؤولة عن التأمين بمناشدة المتظاهرين للابتعاد عن مقر الحرس الجمهوري، إلا أن عناصر الجماعة قامت بإطلاق الأعيرة النارية على القوات المعنية أمام المقر؛ مما أدَّى إلى سقوط أحد أفراد قوة التأمين، وتوفي في الحال، فقامت قوات الحرس الجمهوري بالتعامل مع المعتصمين بالقوة.

جلس محمد ناجي في مكان آمن يدير الأحداث، وظل التعامل ما بين قوات الجيش والمتظاهرين إلى صباح اليوم التالي، نتج عن تلك الاشتباكات وفاة 61 من المتظاهرين، وإصابة 435، والقبض على 200 شخص.

سارع محمد ناجي بنقل تلك الأحداث إلى فاتح أربكان، الذي أبدى سعادته لما حدث، قائلًا بأن هناك تضحيات لا بُدَّ أن تُبْذَلَ في سبيل إعادة الأمر لما كان عليه، وأن ما حدث سيُحدِثُ حالة من الانشقاق الداخلي والخارجي إزاء الموقف المصري.

نقل فاتح ما حدث لمدير المخابرات التركية، الذي ما أن سمع الأخبار حتى انتابته سعادة بالغة، قائلًا: »إن الإدارة التركية بدأت بالاتصال ببعض الدول الأوروبية لأخذ موقف عنيف ضد المجازر التي تحدث في مصر».

كانت أحداث الحرس الجمهوري بالفعل قد أثارت العديد من ردود الأفعال الداخلية والخارجية.

ردود الفعل الداخلية:

1- دعا حزب «الحرية والعدالة» الذراع السياسي للإخوان المسلمين للمصريين للانتفاض وإسقاط الغطاء عن الجيش الذي قام بسرقة ثورته المصرية بالدبابات، بعد سقوط أكثر من 50 قتيلًا خلال الاشتباكات.

2- أعلن حزب «النور» أحد المؤيدين لثورة 30 يونيو انسحابه من خارطة الطريق؛ كردٍّ فعل على ما سمُّوه بمجزرة الحرس الجمهوري.

3- أصدر حزب «مصر القوية» الذي يترأَّسه قيادي الجماعة عبد المنعم أبو الفتوح بيانًا، حمَّل فيه القوات المسلحة مسؤولية ما حدث، مؤكدًا على أنه مسؤول عن حفظ دم المصريين، مشيرًا إلى أن ما حدث يعيد للأذهان ما وقع في «ماسبيرو» و«محمد محمود»، وعلَّق حزب «مصر القوية» مشاركته في خارطة الطريق.

4- حزب «الوسط»، عبر رئيسه القيادي الإخواني أبو العلا ماضي صرَّح بأن ما حدث من سقوط شهداء ومصابين هو مسؤولية مَن يدير الدولة الآن، وأن الهدف من هذه الأحداث هو إجبار الشعب على اتباع وجهة نظر واحدة، وإقصاء باقي الأطراف.

5- اتَّهمت الجماعة الإسلامية الرئيسَ المؤقَّت عدلي منصور بأنه هو المسؤول عن تلك الأحداث، وأدانت التلفيقات القانونية للمعارضين.

6- حركة 6 أبريل دعت الرئيس لتشكيل لجنة لتقصي الحقائق، كما دعت القوات المسلحة لفض الاعتصامات دون الإفراط في القوة.

الردود الخارجية:

1- دعت الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال وزارة الخارجية، الجيش المصري للتمسُّك بأقصى درجات ضبط النفس، مؤكِّدة على ضرورة مشاركة كافة الأطياف في عملية التحوُّل الديمقراطي في مصر، كما أدانت دعوة الإخوان لانتهاج العنف كوسيلة للتغيير.

2- أعربت المانيا عن استيائها لما تشهده مصر من أعمال عنف، مطالِبَة الجهات المحايدة بتوضيح سريع لملابسات الأحداث.

3- أصدرت انجلترا بيانًا أشارت فيه إلى ضرورة التزام الأطراف المتنازعة بالهدوء، والحاجه الماسَّة للسيطرة على أعمال العنف.

4- أكَّدت إيران على تأييدها الشديد لما يدور على الساحة الداخلية في مصر ومتابعتها للموقف عن قرب، مؤكِّدة على ضرورة الالتزام بالعملية الديمقراطية داخل البلاد.

5- أعلنت قطر متابعتها للأحداث الجارية، في الوقت الذي رفضت فيه الجهات الحكومية هناك الإدلاء بأي تصريحات بخصوص الأحداث حتى وضوح الرؤية بصورة كافية.

6- حركة المقاومة الإسلامية حماس أعلنت عن بالغ الحزن لسقوط ضحايا.

أوضح فاتح بأن الضغوط ستكون شديدة على الإدارة المصرية الحالية للإفراج عن مرسي، وأكمل حيدر أوغلو أن هناك مفاجأة لا يتوقعها المصريون، وهي أن الاتحاد الإفريقي سوف يصدر قرارًا بتجميد عضوية مصر في الاتحاد، وهذه وسيلة منهم للضغط عليهم، وهناك مساعٍ داخل الاتحاد الأوروبي لعزل مصر عن العالم، ويتم التحول من خلال الضغط الشعبي على الحكومة المصرية.

أبدى فاتح سعادته بما يحدث، مؤكدًا على أنها خطوة قوية لإنهاء الانقلاب العسكري في مصر، لكن لا بُدَّ من استمرار الاحتجاجات، وبقاء حالة الفوضى داخل مصر باستمرار الانقسام الداخلي.

وأكَّد حيدر على ضرورة عقد لقاء مع مسؤولي الملف الليبي والتونسي بحضور فاتح لدراسة الموقف ككل.

اسطنبول– دار الأرقم.. الاستعداد والرحيل:

دخل يوسف التركي على العناصر المتواجدة داخل المنزل المشار اليه وطلب من «أبو آدم» مسؤول الدار، تجميع كافة المتواجدين داخله وبالفعل تجمع كل من «أبو دجانة» وأبو صلاح وباقي رفاقهم، حيث تحدث معهم يوسف قائِلًا: بعد إتمام الدور التمهيدي في الأمنيات ضرورة الاستعداد للسفر إلى حقل الجهاد.

هنا تحدَّث «أبو صلاح» متسائِلًا: كيف، وأين سننتقل؟

فرد عليه يوسف: كل شيء في وقته، والمعرفة على قدر الحاجة، وهذه قاعدة أمنية لا يمكن الخروج عنها... مبدئيًّا سيتم الانتقال إلى إحدى المنظمات الدينية داخل تركيا، والعمل بها لفترة تحت ستار موظَّفي الإغاثة للشعب السوري، اسم تلك المنظَّمة «وقف الديانة التركية»...

سأل أبو دجانة: وما تلك المنظمة التي سوف نعمل تحت ستارها؟

يوسف: هي وقف تم تأسيسه في 1975/3/13، على يد الدكتور. مصطفي دوغان، واستطاع هذا الوقف تطوير نفسه إلى أن أصبح لديه 1000 فرع داخل تركيا وخارجها، ويقوم هذا الوقف بتلبية كافة احتياجات المساجد ودور تحفيظ القرآن والمراكز التعليمية، وتقديم عدد من المنح الدراسية في المواد الشرعية للعديد من الدول الإسلامية، وبصفة خاصة دول الاتحاد السوفييتي المنحل، بالإضافه إلى تقديم الإغاثة للاجئين السوريين على الحدود التركية، والمضارين من الحرب الأهلية في سوريا... سوف تتدربون وتتلقون التدريب على نقل وحمل مواد الإغاثة من أحد المخازن التابعة للوقف، وسيتم تسليمكم ملابس خاصة بالوقف، واستخراج كروت تثبت عملكم داخل المنظمة، وسوف تتلقون باقي التعليمات عقب ذلك.

صباح اليوم التالي... وصلت سيارة سوداء اللون يستقلُّها أربعة أشخاص، وقاموا بتجميع كافة المتواجديين داخل الدار، وفور دخولهم السيارة وزَّعوا عليهم عصابات للأعين؛ لوضعها على أعينهم للدواعي الأمنية.

أصاب هذا التصرف «أبو دجانة» بشيء من الخوف، لكنه وضع تلك العصابة على عينه في صمت، وسارت السيارة في طرقات مدينة اسطنبول لمدة نصف ساعة تقريبًا، وتوقَّفت السيارة أمام مخزن مكتوب عليه باللغة التركية، وفور وصولهم إلى هناك قام أحد الأشخاص بتسلُّمهم ملابس خاصَّة بعمال التحميل، وتمَّ توفير إقامة لهم داخل المخزن.

قضى الشباب داخل المخزن ليلتهم، وفي صباح اليوم التالي أتت سيارة نقل كبيرة إلى المخزن، وبدأ الشباب في تحميل عدد من المواد التموينية من طعام وشراب داخل السيارة، واستمر في تحميل تلك السيارة حتى منتصف النهار، وتم الانتهاء من التحميل، وطلب المتواجدون راحة لمدة ساعتين قبل التحرُّك... أعطاهم يوسف فرصة لتناول الطعام والراحة والاستعداد للسفر عقب صلاة الفجر.

فجر ذات اليوم تحرَّكت السيارة المحمَّلة بالمواد الغذائية وبداخلها كل مَن تواجد داخل دار الأرقم بعدما استلموا أوراقًا تثبت عملهم داخل منظمة «وقف الديانة».

وهنا تركهم يوسف وقام بتوديعهم، وانطلقت السيارة جنوب الحدود التركية السورية.

عقب تحرُّك السيارة قام يوسف بالاتصال بـ «أبو الحسن» مسؤول الملف السوري، وإبلاغه بتحرك الهدف جنوب الحدود، أبدى أبو الحسن ارتياحه لما حدث، ورد قائلًا: كل شيء سيكون على ما يرام، وسوف نبدلهم بأشخاص آخرين فور وصولهم إلى الحدود.

انطلقت السيارة لمدة يوم ونصف تجاه الحدود التركية السورية حتى وصلوا إلى مدينة غازي عنتيب على الحدود هناك، وفور وصول الشاحنة كان في استقبالها شخص تركي يُدْعَى «أبو يحيى» يجيد اللهجة السورية، حتى قام بإنزالهم في أحد المنازل على الحدود السورية، والمبيت به لمدة ليلة، حيث تملَّكت هؤلاء الشباب حالة من الإنهاك البدني والذهني من طول المسافة، وفور دخولهم إلى الفراش ذهبوا في نوم عميق.

استيقظ أهل دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان أبو الحسن في انتظارهم أسفل المنزل وبصحبته سيارة إسعاف، وطلب منهم تقسيم أنفسهم لقسمين؛ جزء يستقل سيارة الإسعاف، والآخر يدخل كعمَّال شحن وتفريغ، واستقل سيارة الإسعاف أبو دجانة وأبو صلاح ومعه آخر، وقام أبو يحيى بإعطاء كل منهم بالطو أبيض خاصًّا بالهلال الأحمر، وتحركت السيارتان خلف بعضهما إلى منطقة الريحانية الحدودية، وفور عبور السيارتين الحدود التركية ودخولهم إلى مناطق العمق السوري بدأ أبو دجانة ينظر لمناطق الخراب والدمار الذي خلَّفته الحروب وتلك المدينة التي تشبه مُدُن الأشباح. ظلوا كذلك لمدة ساعات، دون أن يعرفوا وجهتهم، إلى أن وصلوا منطقة «دارة عزة» بريف حلب.

تقع تلك المدينة الهادئة بالقرب من مدينة حلب، على مسافه 30 كيلومترًا، حيث سطح جبل الشيخ بركات ومزارع المدينة الحلبية، وتعود شهرتها لكونها واقعة على طريق قلعة «سمعان العمودي»، والذي يقع على مسافة 5 كيلومترات من شمال المدينة.

أصاب المدينة الدمار والخراب، ودُمِّرت بعض آثارها، مثل الكنيسة الأثرية، وكذلك تهدَّمت البيوت والمدارس، والمستشفيات، وهجر الأهالي المدينة، تركوا منازلهم وأراضيهم بسبب تلك الحرب. فور وصول المجموعة إلى إحدى الكتائب العاملة ضد النظام السوري قام أبو يحيى بتسليمهم في معسكر «خطَّاب»، حيث قام بتسلميهم إلى «أبو خطاب المصري» مسؤول الكتيبة، الذي سمح لهم بالإقامة داخل المعسكر، وأوضح لهم أنه سيتعين عليهم أن يحضروا جميع الخطب والدروس الدينية بمسجد تابع للكتيبة لحين النظر في أمر اشتراكهم في أعمال القتال من عدمه.

تمَّ تسكين المجموعة في أحد المنازل التي هجرها أهلها من جرَّاء عمليات القصف والحرب الدائرة.

بدأ أبو دجانة ورفاقه في التجوُّل داخل المدينة، وتَفقُّد المعسكرات التي تم أنشئت بمعرفة كتيبة «خطاب»، حيث شاهدوا معسكرين، المعسكر الأول معسكر المقاتلين، والثاني المعسكر الشرعي. يتواجد في تلك الكتيبة حوالي 70 فردًا، معظمهم من السوريين والمصريين والسعوديين، حيث تعرَّف أثناء تواجده على بعض العناصر المتواجدة بالكتيبة،

منهم المدعو جاسر، وأبو منصور وأبو عبيدة، وشاهد التسليح المتواجد مع أحد أفراد الكتيبة من أسلحة خفيفة: بنادق آلية 7.62 × 39 م.

ومكث أبو دجانة ورفاقه دون عمل يقومون به، سوى التردد على المسجد لتعلُّم العلوم الشرعية التي كان يلقيها أبو صقر السيناوي عن قصه الجهاد وحتميته ومشروعية الأسانيد الشرعية التي يعتمد عليها في تلك المعركة.

أصيبت المجموعة بحالة من الإحباط والملل من جرَّاء عدم قيامهم بأي اعمال؛ مما دفع «أبو عبد الله الروسي» و «عز الدين الفلسطيني» للحديث مع «أبو دجانة» و«أبو صلاح» حول الموقف داخل كتيبة خطاب، كان رأيهم أن تلك الكتيبة ليس لها أي لواء أو راية تحارب تحتها، وأن إمكانياتها ضعيفة، كما أنها تعتمد على المؤن والسلاح الذي يأتي من تركيا، وعدد العناصر بها قليل جدًّا، ولا يوجد برنامج تدريبي واضح، وأن معظم غاراتهم تعتمد على الهجوم على عدد من سيارات الجيش السوري وأخذ سلاحهم كغنيمة، بالإضافة إلى عدم قيامهم بأي أعمال، واتفقوا عقب اللقاء على ضرورة الجلوس مع مسؤول الكتيبة «أبو خطاب المصري» للسماح لهم بالمشاركة في أي عمليات، وبالفعل توجَّهوا إلى «خطَّاب» في المسجد وطلبوا منه مشاركتهم في العمليات القادمة، وبأنهم لم يتركوا حياتهم للجلوس دون مشاركة في حقل للجهاد.

أبدى خطاب تفهُّمه لذلك وطلب منهم المشاركة في إخلاء القتلى والمصابين في العمليات، وبالنسبة للجهاد تحت رايته، فهناك أخبار جيدة سوف يسمعون بها قريبًا.

أوَّل عملية

عقب لقائهم بـ «خطاب المصري» بعدَّة أيام، تم استدعاء أبو دجانة وأبو أمل المصري، وأبو عمر الكويتي، وأبلغوا بالمشاركة في العملية المقبلة، والتي تستهدف رتلًا للجيش السوري يمر من الطريق الرئيسي للمدينة «دار غزة»، وسيتم استهدافه عن طريق زرع عبوة ناسفة أمام السيارة الأولى؛ مما يؤدي إلى توقُّفها، وبعدها يبدأ الهجوم بالأسلحة الخفيفة على باقي المجموعات واغتنام الأسلحة، ويقتصر دورهم على نقل المصابين والقتلى من جانبهم عقب الهجوم.

وساعة التنفيذ، قام عنصر الرصد الذي كُلِّف بالعملية، وهو أبو عمر الكويتي، بالإبلاغ عن مشاهدته مرور 4 سيارات مدرعة قادمة على الطريق، فقام خطاب مسؤول الكتيبة بزرع عبوة ناسفة –كانت قد أُعِدَّت سلفًا– على جانب الطريق، باستخدام طريقه التفجير عن بُعد بربطها بشريحة موبايل، وفور قرب الرَّتل، قام أبو عمر الكويتي بإبلاغهم، وتمَّ التفجير، وفور حدوث التفجير هجمت العناصر المسلحة التابعة للكتيبة واشتبكت مع القوة الأمنية، وأثناء الاشتباك قُتِل «أبو منصور» أحد الكوادر التي تعرَّف عليها «أبو دجانة» حال وصوله للمعسكر، وأصيب جاسر بطلقة في قدمه اليسرى، وقُتل باقي أفراد القوة الأمنية.

هجمت عناصر كتيبة «خطاب» واستولوا على الأسلحة، ولكنهم لم يستطيعوا تحريك السيارات المدرعة.

أصيب أبو دجانة بحالة من الفزع حال مشاهدته «أبو منصور» مقتولًا، انتفضت أوصاله داخليًّا لأول مرة، حيث إنه كان يقف بجواره، وفجأة يلقى مصرعه. كانت هذه المرة الأولى لرؤية موقف كهذا، وبعدما تمالك أعصابه شيئًا ما قام بمساعدة «أبو أمل» في نقل جثمان «أبو منصور»، ونقل جاسر إلى مكان آمن لإسعافه... ظلَّ جاسر ينزف حتى لقي مصرعه لعدم وجود تجهيزات طبية.

تم دفن جثتيهما، وجلس أبو دجانة في حالة ذهول من جرَّاء ما حدث، واجتمع مع عدد من عناصر الكتيبة ومعهم أبو خطاب المصري لمطالبتهم بالانضمام إلى إحدى الرايات، وأن يكون هناك تجهيزات للمقاومة، ليستطيعوا استكمال مسيرة الجهاد، فكر أن أكبر لواءين للجهاد هما جبهة النصرة أو الدولة الإسلامية «داعش»، فلديهما إمكانيات كبيرة.

قال خطاب إنه ليس لديه تعليمات للانضمام إلى أي من تلك القوتين، فسأله أبو أمل المصري: ومِمَّن تأخذ التعليمات؟

خطاب: مِمَّن يوفر لكم الطعام والشراب والسلاح... ممَّن أتى بكم إلى هنا...

فهم أبو دجانة ورفاقه أنه يقصد الأتراك، وأخبرهم أنه سوف يتحدث مع «أبو يحيى» مسؤول العمليات على الشريط الحدودي السوري لإقناعه بأمر انضمامهم لواحد من الفريقين.

عقب اللقاء بيومين صدرت التعليمات إلى كتيبة «خطاب» بالانضمام للواء جبهة النصرة.

قبل فَضِّ «رابعة»

45 يومًا مرَّت منذ عزل محمد مرسي وتحوُّل ميدان رابعة العدوية وميدان النهضة –بل منطقة مدينة نصر– إلى ما يشبه الدولة داخل الدولة، وأصبحت مصر أمام خيارين: إمَّا الفوضى، وإما دولة القانون، حيث إنه غير معقول قطع أوصال العاصمة باحتلال الميادين العامة، حتى لو بغرض التظاهر السلمي، خاصة في ظل وجود شكوك تتعلَّق بانتفاء صفة السلمية من تلك الاعتصامات؛ لوجود أسلحة ومتفجرات معهم، وأن استمرار هذا الوضع المزري يكرِّس العشوائية والفوضى، ويعوق جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإصلاح السياسي.

اتصل الدكتور ناجي محمد بفاتح مسؤول الملف المصري بتركيا، وتحدث معه حول الوضع الراهن داخل اعتصامَي رابعة والنهضة قائلًا: لا أرى أي تقدم على الأرض. الوضع الدولي ليس به تقدُّم ملموس، وكذلك الوضع الداخلي يزداد سوءًا، وهناك تأييد شعبي للجيش بالرغم ممَّا حدث أمام الحرس الجمهوري، والإعلام يصوِّر للشعب أن الإخوان شياطين...

فقال فاتح: الوضع العالمي في حالة ترقُّب، والتدخلات التي قامت بها السعودية والإمارات والكويت أثَّرت بشكل كبير في ثبات الوضع لصالح حكومة الانقلاب، واستطاعت من خلال فرنسا وبعض الدول الأوروبية منع اتخاذ موقف موحَّد للاتحاد الأوروبي، بالرغم من أن هناك ضغوطًا من جانبنا، ومن جانب حلفائنا في رئاسة الإتحاد لاتخاذ عقوبات ضد مصر، واستطعنا خلال الجولة السابقة تجميد عضوية مصر في الاتحاد الإفريقي، كما نسعى إلى الضغط لفرض عقوبات على مصر من جانب الدول الأوروبية، ومنها الضغط على الشعب من خلال توفير احتياجاتهم، خاصة في ظل اعتماد مصر على استيراد معظم احتياجاتها من الخارج؛ فضروريٌّ استمرار الوضع الحالي كما هو لإشعار المواطن المصري بخطورة ما قام به من ثورة وتأييده للانقلاب العسكري، وسوف نستمر في الضغط من خلال المنظمات الحقوقية ومنظمات حقوق الإنسان في ذلك الاتجاه.

فردَّ الدكتور ناجي: فرض عقوبات اقتصادية هذا سلاح قوي، ولكن الوقت ليس في صالحنا، خاصة في ظل الدعم اللامحدود من جانب السعودية والإمارات، والخوف من لجوء الجيش والشرطة إلى فض الاعتصام بالقوة، وإنهاء الأمر.

فاتح: نحن من خلال أصدقائنا نحاول مع بعض أعضاء الحكومة المصرية من ذوي الاتجاهات الليبرالية لإقناعهم برفض فكرة العنف واللجوء إلى الحل السلمي، وإحداث انشقاق داخل الحكومة ما بين مؤيد ومعارض، وخاصة في ظل اختلاف التوجهات السياسية داخل الحكومة الحالية، وفي حال لجوء الجيش والشرطة إلى الفض بالقوة، لا بُدَّ من تحويلها إلى مجزرة حقيقية، وتكون أنت وقيادات الجماعة بعيدين عن مسرح الأحداث، وخصوصًا أنت؛ لأنك عنصر الاتصال معنا، وسوف نرى ماذا ستسفر عنه الأيام القادمة...

يوم فضّ «رابعة العدوية» 2013/8/14

د. ناجي يتحدَّث إلى كريم: عناصر الرصد التابعة لنا أمام قطاع الأمن المركزي بالدراسة رصدت وجود حالة من الاستنفار داخل القطاع، وعودة كل الضباط من راحتهم؛ لذا يلزم وجود مجموعة الدعم الخاصة بالجماعة لاعتلاء كافة العمارات والمباني المرتفعة، خاصة المبنى تحت الإنشاء المكوَّن من ستة طوابق، هناك على أطراف الميدان، ثم عمل تحصينات على كافة أدوار المبنى، وتتولى عناصر المجموعة الخاصة تأمينه.

– خلاص... نطلق عليه عمارة «المناين»؛ للتعمية إذا رصدوا اتصالاتنا.

تم اعتلاء كافة المباني واطمأنوا على وجود كميات كافية من الأسلحة والذخائر مع عناصر التأمين في الميدان، وتم عمل تحصينات من الرمال على كافة مداخل ومخارج الميدان، ومنع الخروج والدخول، مع عمل مسارات للمرور، وتجهَّزت مستشفى ميداني تحسُّبًا لوقوع جرحى إذا حدثت اشتباكات مع الأمن.

غرفة عمليات «رابعة العدوية»

توجَه الدكتور ناجي عقب اصدار أوامره وتكليفاته إلى كريم داخل مسجد «رابعة العدوية»، وتقابل مع قيادات التنظيم، وأخبرهم برصد وجود حالة من الاستنفار الأمني واستدعاء عدد كبير من الضباط والجنود من الراحات والإجازات؛ ما يعني احتمالية القيام بعملية عسكرية تستهدف الاعتصامات في «رابعة» و«النهضة»، وأنه أصدر تعليمات للمجموعات المسؤولة عن تأمين الاعتصام بالاستعداد، وكذا تكليف عناصر الرصد بأن يرصدوا أي حركة تجاه الميدان.

واستعرض الوضع السياسي الخارجي معهم، مشيرًا إلى أنه وضع غير مطمئن، مؤكدًا على ضرورة بقاء أكبر عدد من المعتصمين في مكانهم، وأنه في حاله فض الاعتصام بالقوة لا بُدَّ من الدفاع عن الاعتصام لآخر نفس، واستخدام النساء كدروع بشرية في الصفوف الأولى لمواجهة الأمن، فإن قام بالضرب نستغل ذلك عالميًّا، وإن تراجعوا عن لك؛ باعتبارهم يواجهون نساءً، نستغل نحن الفرصة ونقوم بضربهم، ولا بُدَّ من إحداث خسائر كبيرة من جرَّاء الفَضِّ.

أبدى عدد من قيادات التنظيم تخوُّفَهم من ذلك، وضرورة الاختفاء في إحدى الشقق المفروشة في محيط الاعتصام؛ لأن ضبطهم أو القبض عليهم أو إصابتهم سيؤثِّر سلبًا على المعتصمين.

أمَّن ناجي على ذلك قائلًا بأن التعليمات التي صدرت له من تركيا تؤكد عليه على ضرورة اختفائه في إحدى الشقق السكنية، لكن بعيدة؛ لأنه حلقة الوصل ما بين التنظيم وبين الجماعة في مصر.

استشعرت قيادات الجماعة خطورة الموقف، ووجَّه نائب المرشد إلى ضرورة عدم معرفة أي من الموجوديين مكانَ الآخر، حتى إذا تم ضبط أيٍّ منهم يصعب عليهم ضبط الآخرين.

بدأ بالفعل الدكتور ناجي في تنفيذ الخطة التي تم الاتفاق عليها في غرفه العمليات، وحال خروجه بادر بالاتصال بكريم، وطلب مقابلته منفردً، توجَّه كريم لمقابلة ناجي وسأله الأخير: ماذا عن الترتيبات لتأمين محيط الميدان؟

فأجابه: كل شيء على ما يرام.

أشار ناجي إلى ضرورة تَرْكِهِ الميدان هو والقيادات لأن في حالة حدوث اقتحام للميدان ستنتهي الجماعة بضربة واحدة، وأن على كريم ضروره التواجد في مكان قريب من الأحداث.

أبدى كريم استغرابه لحديث ناجي، وسأله: أتترك الشباب بدون قائد لهم يواجهون مصيرهم، كيف ذلك؟

ناجي: إني أُعدُّك لأن تكون قائدًا، فعليك التوجيه لرجالك... ودورك الملموس في تلك الأوقات سيعود عليك بالنفع الكثير في تقلُّد المناصب القيادية في الجماعة... فلك أن تعتبر ذلك تقييمًا لك.

كريم: أشكرك على هذه الثقة... ولكن ستؤدي الأحداث إلى وقوع ضحايا كثيرة، أم هناك تعليمات بفض الميدان بطريقة سلمية؟

ثار ناجي: أيُّ فضٍّ سلمي؟؟ لا بُدَّ من المواجهة والدفاع عن الحق، حتى آخر قطرة من دماء الإخوان دفاعًا عن الشرعية التي حاربنا من أجلها أكثر من مائة عام.

سأل كريم: وماذا عن المتجمعين؟ لا بُدَّ من تحفيزهم للثبات في الدفاع عن الجماعة، ولكن لا بُدَّ وأن يكون من شخصية ذات ثقل مثلك، فاخطب فيهم لشد الهمم.

وبالفعل اعتلى ناجي منصة ميدان رابعة وقام بإلقاء خطبه عصماء عن الحق والعدل والدفاع عن الشرعية بدمائهم، وبأن الله معهم وسينصرهم نصرًا مبينًا، وأنه متواجد معهم هو وأسرته، ومستعد للتضحيه فداءً لتلك الشرعية، مذكِّرًا بكلمات من خطاب المعزول محمد مرسي؛ مما ألهب حديثه مشاعر المعتصمين وأثار حفيظتهم... ونزل من المنصة، وقام بترك الميدان.

قطاع الدرَّاسة للأمن المركزي

عقد اللواء رأفت المر قائد الأمن المركزي اجتماعًا لضباط العمليات الخاصة بالقطاع، وهم النقيب شادي مجدي، ملازم أول محمد سمير، النقيب أشرف فايد، ملازم أول محمد محمود عبد العزيز، وعدد 14 ضابطًا من القوات الخاصة منتدبين من قطاعات الأمن المركزي على مستوى الجمهورية، تحدَّث إليهم بصدد التعليمات بفض اعتصام «رابعة العدوية» و«النهضة» في توقيت واحد، وساعة صفر واحدة، وأن هناك خطة أمنية لتنفيذ ذلك على أربعة محاور رئيسية:

المحور الأول: سيتم إصدار بيانات ونداءات للخروج الآمن من الاعتصام.

المحور الثاني: نشر تمركزات أمنية في محيط الشوارع المؤدية من وإلى الاعتصام.

المحور الثالث: حصار شامل للقوات ومنع دخول أو خروج أحد إلى الاعتصام.

المحور الرابع: البدء الفعلي في فض الاعتصام.

وسيتم التدرج في استخدام القوة أثناء التنفيذ.

وأكَّد لهم اللواء المر بأن لجوء الدولة إلى فض الاعتصام يرجع لعدة أسباب، أهمها تفاقم الأحداث واستنفاد كافة الطرق السلمية، وفشل الوساطات المحلية والدولية، وقيام عناصر الجماعة بتعطيل مصالح المواطنين وإحداث حالة من الفوضى في البلاد.

أبدى الضباط حماستهم لتنفيذ ذلك عن قناعة ويقين بأنهم على الحق المبين بإذن الله.

وعقب استعراض محاور الخطة من جانب اللواء المر قام بتحديد دور كل مجموعة داخل عمليات الفض:

- مجموعه أولى برئاسة النقيب شادي مجدي، ومعه 6 مجنَّدين.

- مجموعه ثانية برئاسة النقيب أشرف فايد، ومعه 6 مجندين.
- مجموعة ثالثة برئاسة النقيب محمد سمير، ومعه 6 مجندين.

وباقي الـ 14 مجموعة المتواجدة ستكون مسؤوليتهم في عملية الحصار داخل هذا الجزء من العملية، ومنع تسلل أي عناصر إلى داخل الميدان، والقوات تكون على استعداد من الساعه 2 صباحًا، ولحين صدور تعليمات أخرى.

دخل الضباط إلى استراحتهم، ودار حوار بين نقيب شادي مجدي وبين زملائه: النقيب أشرف فايد والنقيب محمد عبد العزيز والنقيب محمد سمير...

شادي: أنا هابدأ اقتحام أنا بمجموعتي أول مجموعة هتنزل إلى الميدان...

ردَّ عليه نقيب أشرف فايد: لا... أنا اللي هدخل، ماينفعش تدخل وأنا موجود...

ردَّ باقي الضباط، ولماذا لا نكون نحن بمجموعاتنا؟

وصل الأمر بينهم إلى ما يشبه المشادة؛ من فرط الحماسة، واقترح عليهم النقيب أشرف إجراء قرعة فيما بينهم لتقرير مَن يدخل أولًا.

فوافق على ذلك، وبالفعل أول ورقة ظهر فيها اسم «شادي مجدي».

أبدى شادي فرحه لكونه أوَّلَ مَن يدخل لتفقُّد المأمورية، على الرغم من علمهم جميعًا بالخطورة التي ستواجه أول مجموعة، وهم يعتقدون أن أعضاء تلك المجموعة في الغالب سيسقطون شهداء، لكنهم جميعًا كانوا يتمنون أن يكونوا أول من يدخل.

لم ينم ضباط الاقتحام الأربعة ليلتهم، وجلسوا يتقلَّبون في نومهم ساعات ليلهم الأولى، وقاموا في الساعة المحددة سَلَفًا بالتجهيز في انتظار ساعة الصفر، وقاموا بأداء صلاة الفجر جماعة. قام شادي بأداء صلاته، وجلس بعدها يدعو ربه، والجميع متشوِّق لساعة الصفر، وتنفيذ المأمورية

الفَضُّ:

تجمَّعت القوات الساعة الخامسه صباحًا داخل القطاع استعدادًا للتحرك، وتم تحديد العقيد أيمن منير لتولّي إدارة العمليات وإصدار التعليمات، سأل اللواء المر عن مجموعة الاقتحام الأولى، فبادر النقيب شادي مجدي: أنا يا افندم... الحمد لله... القُرعة رسِت عليَّ...

فردَّ اللواء المر: أي قُرعة؟

النقيب شادي: كلنا يا افندم كنَّا نرغب الدخول بمجموعتنا أول مجموعة... فعملنا قرعة

فتبسَّم اللواء المر وقال: ربنا يحميكم وترجعوا سالمين غانمين لأولادكم وأهلكم.

توجهت القوات إلى محيط اعتصام «رابعة العدوية»، أمر العقيد أيمن منير القوات بالتوجُّه وغلق الشوارع المؤدية إلى الاعتصام وفرض طوق أمني على كافة المداخل والمخارج والشوارع المحيطة بالميدان، وانتشرت القوات بالفعل في شارع النصر وشارع عباس العقاد وشارع أنوار المقر خلف مسجد رابعة العدوية.

وبدأت القوات النداءَ عبر مكبرات الصوت ودعوة المعتصمين للخروج عبر ممرَّات آمنة.

أسرع كريم –الذي كان على تواصُل دائم مع د. ناجي– بالاتصال به تليفونيًّا وأخبره أن المعتصمين يفكِّرون في الخروج، خاصة في ظل وجود نساء، فرد عليه ناجي قائلًا: انتظر لحظات وسوف أقوم بالرد عليك، وأجرى ناجي اتصالًا بتركيا، وعرض عليهم الموقف الحالي على أرض الواقع، وتم الاتفاق على ضرورة إحداث مذبحة، وأن تكون فيها خسائر كبيرة، لاتخاذها وسيلة ضغط على الجيش والشرطة في مصر.

عاود كريم الاتصال بالدكتور ناجي، وطلب منه ناجي توجيه الأمر للعناصر المتواجدة في عمارة المنافين بتقاطع عباس العقاد وشارع النصر بإطلاق أعيرة نارية بصورة كثيفة تجاه القوات.

فوجئت القوات المحاصرة للاعتصام بإطلاق أعيرة نارية تجاههم.

تحدث نقيب شادي عبر جهاز اللاسلكي وأخبر القيادة بهذه الأعيرة النارية وطلب التعليمات، فأصدر العقيد أيمن منير تعليماته بإطلاق الغاز المسيل للدموع بصورة كثيفة، وبالفعل امتثلت القوات للتعليمات بإطلاق تلك القنابل... واستمروا في إطلاق تلك القنابل لمدة نصف ساعة وبصورة مكثَّفة.

نادى العقيد منير: ما الموقف عندك يا شادي؟

شادي: لازال هناك إطلاق أعيرة نارية من المباني المرتفعة تجاه القوات والغاز المسيل لا يؤثر على المعتلين الأماكن المرتفعة.

عقيد منير: استمر يا شادي في إطلاق الغاز لمحاولة صرفهم.

شادي: ضرب النار أصبح كثيف جدًّا يا افندم، عندي مجنَّد أصيب بطلق ناري في الصدر، أنا هادخل لإنقاذه.

عقيد منير: لا تدخل الآن يا شادي، وهُمَّا في أماكن مرتفعة.

شادي: لازم يا افندم... ده الراجل بتاعي.

عقيد منير: شادي... شادي.

إطلاق النار بصورة عشوائية تجاه القوات ازداد من تلك العمارة تحت الإنشاء.

عقيد منير: شادي رد يا شادي...

دخل على محطة الجهاز اللاسلكي النقيب أشرف فايز: شادي أُصيبَ بطلق ناري في الرأس ولا يتحرَّك... شادي استشهد يا افندم.

عقيد منير: السيد اللواء المر... شادي استشهد يا افندم.

اللواء المر: لا حول ولا قوة إلا بالله، رحمة الله على الشهيد، كمِّلوا يا رجالة.

يدخل نقيب أشرف فايد: أنا ومجموعتي سوف ندخل يا افندم...

بالفعل تبدأ مجموعة أشرف فايد في محاولة الدخول إلى جسم الاعتصام.

ينادي الملازم الأول محمد عبدالعزيز على العقيد منير: فيه إطلاق نار وإلقاء زجاجات مولوتوف بصورة كثيفة في منطقة طيبة مول، سوف أتجه ناحيتهم يا افندم

عقيد منير: ادخل يا محمد.. توكَّل على الله

يدخل على الجهاز المقدم شريف هويدي: نريد قوات الدعم... هناك إطلاق نار من أسلحة آلية تجاه مجموعة أشرف فايد...

عقيد منير: النقيب أشرف فايد... النقيب أشرف فايد...

لواء المر: إيه أخبار أشرف يا منير

عقيد منير: لا يوجد استجابة لاسلكية يا افندم.

لواء المر: كرِّر النداء.

أشرف هويدي: استشهاد النقيب أشرف فايد يا افندم...

العقيد منير: لا توجد استجابة في النداء مع اللازم أول محمد عبد العزيز...

لواء المر: كرِّر النداء...

عقيد منير: إصابة م. أ محمد عبد العزيز بطلقة في الصدر، ولازال حيًّا...

لواء المر: يتم تكثيف الهجوم لصد الاعتداء بصورة مكثفة وإخراج الضابط المصاب ونقله لأقرب مستشفى.

لواء المر: هناك استشهاد ضابطين، وإصابة ضابط بإصابات بالغة.. يتم تكثيف الهجوم لفض الاعتصام...

أصاب الضباط المتواجدين والقوات حالة من الثورة والغضب بعد سقوط زملائهم وهم يسعون لفض الاعتصام بصورة سلمية، وقاموا بتكثيف الهجوم؛ مما أدَّى إلى وقوع عدد من الضحايا من جرَّاء التعامل.

استمرت عملية الفض ما يقرب من أربع ساعات، المعتصمون يقومون بإطلاق أعيرة نارية وتقوم الشرطة بمعاودة النداء للخروج الآمن من الاعتصام وعمل ممرات آمنة لهم.

عاود كريم الاتصال بالدكتور ناجي: هناك خسائر فادحة في أوساط المعتصمين، والشرطة والجيش سيطروا على الموقف وعلى وشك فض الاعتصام وإنهائه، وهناك أناس كثيرون سقطوا من جانبنا وأيضًا من جانب الشرطة، ماذا نفعل؟

عاود الدكتور ناجي الاتصال بتركيا وشرح لهم الموقف وما انتهت إليه عملية الفض، فقرَّر له المسؤول التركي ضرورة إحداث حالة من الفوضى، وأنه ستبدأ الأجهزة الإعلامية المؤيدة في نقل ما يحدث وتضخيم الوضع وإحداث حالة من الغضب وإظهاره بمظهر الانتهاكات... جاري التعامل.

اتصل الدكتور ناجي بأعضاء غرفة عمليات رابعة، وتشاور معهم في الأمر وما انتهى به الأمر وعن الأوامر والتعليمات الصادرة من تركيا.

تم الاتفاق على الاتصال بكافة أعضاء المكاتب الإدارية التابعة للجماعة على مستوى الجمهورية وعمل مظاهرات في كافة الشوارع والميادين واقتحام أقسام الشرطة وحرق وتدمير الكنائس ودور العبادة المسيحية لإحداث حالة من الفتنة الطائفية في أوساط الشعب.

وبالفعل عقب انتهاء عمليات الخروج الآمن وضبط بعض العناصر التي كانت مسلحة، قامت عناصر جماعة الإخوان بالهجوم على قسم شرطة كرداسة وقاموا بإطلاق الرصاص الكثيف مستخدمين الأسلحة الثقيلة تجاه القسم؛ مما أدى إلى استشهاد عدد 15 ضابطًا وفردًا من الشرطة، وقاموا باقتحام القسم والتنكيل ببعض الضباط والأفراد.

فرَّ قيادات الإخوان للاختفاء بعيدًا عن الاعتصام، منتشرين في أماكن مختلفة؛ خشية ضبطهم، ولا يعرف أيٌّ منهم مكان الآخر.

بادر الدكتور ناجي بالاتصال بتركيا وأبلغهم باندلاع أحداث وتظاهرات في عدد من المحافظات، خاصة صعيد مصر،

فأصدر فاتح تعليماته له بالقيام بحرق الكنائس لإشعال الفتنة الطائفية، وبالفعل أصدر ناجي تعليماته لعناصر الجماعة لتنفيذ المخطط في المحافظات، وقاموا بحرق الكنائس في محافظات المنيا وأسيوط والفيوم والجيزة والسويس وشمال سيناء والأقصر وبني سويف، حتى بلغت ما يقرب من 55 كنيسة على مستوى الجمهورية.

مقر الأمن الوطني (مدينة نصر):

عقد اللواء شريف ثروت رئيس قطاع الأمن الوطني اجتماعًا مع الضباط، حضر الاجتماع عدد كبير من ضباط القطاع، منهم المقدم أحمد الرفاعي، استعرضوا خلاله الوضع الحالي والظروف التي تمر بها البلاد عقب ثورة الثلاثين من يونيو، وحالة الحراك والفوضى المستمرة في عدد من المحافظات.

حيث أصدر رئيس القطاع تعليماته بضبط كافة قيادات الإخوان التي مازالت هاربةً لإيقاف تلك الحالة، بالإضافة إلى التصدي لأي أعمال تخريبية تقوم بها الجماعة في الشارع تؤدِي إلى تعريض حياة الأبرياء للإيذاء والخطر، وشدد على ضرورة تأمين المنشآت الهامة والحساسة ودور العبادة الإسلامية والمسيحية بالاشتراك مع كافة أجهزة الوزارة والقوات المسلحة.

تحدث المقدم أحمد الرفاعي مشيدًا بدور وموقف الأقباط إزاء ما يحدث، وخص بالذكر قداسة البابا الحكيم، وتصريحاته بشأن حرق الكنائس، حيث قال: «إن لم نجد كنائس نصلي بها، سنصلي في المساجد»، وأن تلك التصريحات أوقفت المخطط الخارجي الذي يحاك لأمن مصر ومنع أي تدخل خارجي في الشأن المصري تحت دعوى حماية الأقليات.

أيَّد رئيس القطاع ما ذكره «الرفاعي» عن ذلك الدور، مشيرًا إلى أن الإخوان يسعون للاستقواء بالخارج واستغلال أحداث فض رابعة العدوية لمحاولة الضغط الخارجي على مصر، وأن هناك بعض من الدول أصدرت بيانات للتنديد بتلك الأحداث وتصويرها إعلاميًّا بواسطة أبواقهم على أنها عملية عسكرية وضدَّ حقوق الإنسان.

كما استعرض العقيد نشأت صفوت -أحد الضباط المتواجدين- ردودَ الفعل الدولية إزاء ما حدث، وذلك على النحو التالي: الأمم المتحدة: أدان الأمين العام للأمم المتحدة استخدام العنف ضد المتظاهرين، خاصة أعمال العنف التي وقعت في القاهرة وتحدث عن استخدام القوات القوة ضد المتظاهرين.

البيت الأبيض: أدان بقوة لجوء قوات الأمن للعنف ضد المتظاهرين واستنكر إعلان حالة الطوارئ في البلاد.

وطلب عقد جلسة مغلقة في مجلس الأمن بطلب من بريطانيا وفرنسا واستراليا، داعيًا الجيش المصري إلى ضبط النفس.

تركيا: أصدر مكتب رئيس الوزارء التركي ضرورة قيام الأمم المتحدة والجامعة العربية بإيقاف تلك المجزرة.

قاطع رئيس القطاع كلامه: طبعًا ماذا ستقول تركيا! وهي العقل المدبر لكل ما يحدث... ثم أكمل الضابط عرض الموقف:

أما ألمانيا وإنجلترا وفرنسا فجاءت ردود أفعالهم في نفس السياق... الإدانة، وطلبوا عقد جلسة مغلقة بمجلس الأمن.

أمَّا من ناحية الجانب الآخر المؤيد للموقف المصري: أصدرت الإمارات والسعودية بيانًا أكدا خلاله على تفهُّمهما للإجراءات السيادية التي اتخذتها الحكومة المصرية، وقالتا إنه مما يدعو للأسف أن جماعات الإسلام السياسي أصرت على خطاب العنف والتحريض وتعطيل المصالح العامة وعرقلة الاقتصاد المصري؛ مما أدى إلى الأحداث الحالية.

تساءل رئيس القطاع: وماذا عن الموقف الداخلي؟

- أصدر حزب مصر القوية معاليك بيانًا حمَّل فيه الحزب السلطات المصرية المسؤولية عن سقوط ضحايا في عملية فض رابعة العدوية والنهضة، ووصفها بأنها جريمة أمام الله والتاريخ...

فردَّ رئيس القطاع:

- طبعًا... الوجه الآخر للإخوان!

- بينما حزب النور قال إن فض اعتصام رابعة بالقوة لن يساعد على حل الأزمة. وتقدم الدكتور البرادعي (نائب الرئيس) باستقالته، وقرَّر أنه من الصعب استمراره في تحمُّل المسؤولية، وتحمُّل تبعات قرارات لا يتفق معها ولا يأمن عواقبها.

هنا تحدث رئيس القطاع قائلًا:

- في المواقف الصعبة تُعرَف معادن الرجال... البلاد معرَّضة لخطر داهم قد يقضي على مستقبلها وحاضرها، ولا بُدَّ من إعادة بناء الدولة، والضغوط الخارجية تزداد يومًا بعد يوم، والشيء الإيجابي هو تماسك الجبهة الداخلية وتحقيق إرادة الشعب... وأنتم لها؛ فلذا لا بُدَّ من العمل على ضبط كافة القائمين على هذه الأحداث وتقديمهم للمحاكمة.

بدأ الرفاعي ورفاقه بوضع خطَّة محكمة لضبط كافة قيادات جماعة الإخوان الإرهابية عن طريق تشديد الإجراءات على كافة الأكمنة والمنافذ، خاصة المنافذ المرورية وتطبيق حالة الطوارئ وتوسيع دائرة الاشتباه لضبط كافة القائمين على أعمال التخريب.

شقة مدينة نصر:

هي شقة سكنية في إحدى ضواحي مدينة نصر، اختبأ فيها الدكتور ناجي، لم يكن يحمل أية وسيلة تواصُل سوى هاتفه الثريا، الذي يتلقَّى عليه التكليفات من تركيا، كان يتابع الأحداث عبر وسائل الإعلام، ولا يعلم مكان تواجده سوى كريم، الذي كان يتردَّد عليه مرَّةً كل ثلاثة أيام، ليحضر للدكتور المأكل والمشرب الذي يكفي لتلك المدة، وذلك عقب التأكد من اتخاذ كافة الإجراءات التي تضمن له عدم مراقبته من أجهزة الأمن.

وخلال إحدى الزيارات قام الدكتور بإرسال رسالة مكتوبة داخل مظروف مغلَق مع كريم، وأكَّد عليه بعدم فتحها وتسليم هذا المظروف إلى شخص يدعى «طارق» والذي سيقابله الساعة الثانية ظهرًا أمام تمثال أسد قصر النيل يرتدي ملابس سوداء.

وبالفعل، في صباح اليوم التالي تقابل كريم مع المدعو طارق وقام بتسليم الرسالة، والتي كانت تحتوي على خطة تهريب المرشد، والتى تم وضعها في تركيا؛ لتهريبه إلى دولة ليبيا، ليكون كيانًا شرعيًّا يلتفُّون حوله كمرشد للإخوان.

وبالفعل تم تسليم المرشد الرسالة في شقة بمدينة الرحاب، حيث كان يختبئ.

وأثناء عودة طارق عقب تسليم الرسالة، تم ضبطه للاشتباه من قبل قوة أمنية، وبمناقشة الضابط الذي قام بضبطه معه، وبتضييق الخناق عليه، أقرَّ أن دوره اقتصر على تسليم رسالة من شخص لا يعرفه إلى المرشد لتهريبه إلى ليبيا، وقد أرشده عن مكان الشقة التي سلَّم فيها الرسالة.

فور سماع أحمد الرفاعي هذه الرواية بادر بالاتصال برئاسته، وأعلمهم بما توصل إليه من ضبط طارق والمعلومات التي أدلى بها، وبالفعل صدرت التعليمات بتجهيز قوة والتوجُّه للشقة برئاسة «الرفاعي»، وبالفعل تم التوجه للشقة التي أرشد عنها طارق، ولكن وصولهم جاء بعد مغادرة المرشد للشقة.

عاد «الرفاعي» من المأمورية وتوجَّه لرئيس القطاع:

– تمام يا افندم... لكن الهدف غادر الشقة قبل فترة بسطية من وصولنا، واتخذ طريق الهروب...

فأشار رئيس القطاع للرفاعي بإعادة التحقيق مع طارق مرة أخرى لمعرفة خط سير هروب المرشد، وبالفعل وبعد مناقشة طويلة لفترة من الوقت أدلى طارق باعتراف تفصيلي عن خط سير هروب المرشد، وهي كالتالي:

سيستقل سيارة أجرة تنطلق إلى قرية الأندلس متوجِّهةً عبر طريق علم الروم إلى ناحية الشرق، أي في الطريق المؤدِّي إلى الإسكندرية، ثم الدوران إلى نقطة الكيلو 28 على الطريق الساحلي الواقع شرق مدينة مطروح للدخول إلى الطريق الدائري، ثم يتوغل عبر الصحراء غربًا حتى يصل إلى الكيلو 15، ومنها إلى واحة سيوه، وسيكون على الحدود عناصر إخوانية ليبية في انتظاره.

أبدى رئيس القطاع سعادته لسماعه تلك المعلومات وأمر بوضع عدد من الأكمنة الثابتة والمتحركة في المنطقة الغربية، وتحديدًا على خط السير، وبالفعل تم ضبط المرشد حال تخفِّيه خلف ملابس نسائية (نقاب).

مرَّت ثلاثة أيام على عملية الضبط، وفوجئ الدكتور ناجي أثناء متابعته لوسائل الاعلام بضبط المرشد أثناء هروبه، فانتفض لسماع هذا الخبر، وقام على الفور بالاتصال بفاتح في تركيا مُبلِغًا إيَّاه التفاصيل، فكلَّفه الأخير على الفور بالتوقف عن التواصل، وأنه مَن سيقوم بإدارة العمليات داخل مصر خلال المرحلة المقبلة، وسيتم وضع خطة جديدة وفقًا لتحديات وظروف الموقف على الأرض، وإلزام كافة رجاله بالتوقف عن أي أعمال لحين صدور تعليمات أخرى.

ريف دمشق– معقل جبهة النصرة:

وصلت كتيبة خطاب المصري إلى ريف دمشق قادمين من «دار عزة»، ومعهم بعض العتاد الخفيف من أسلحة آلية وبعض السيارات «نصف نقل»، بالإضافة إلى عدد أربعة أسلحة متعددة، والتي تم الاستيلاء عليها من آخر عملية نفذتها الكتيبة في «دار عزة».

وفور وصولهم إلى هناك تم استقبالهم من قِبل شخص يُدعى «أبو جندل المهاجر»، حيث رحب بمسؤول الكتيبة في منزليين كبيرين في ريف دمشق، من المنازل التي هجرها أهلها عقب اندلاع الأحداث.

تحدث «أبو جندل المهاجر» بلكنة أظهرت كونَه مصريًّا، وتحدث معهم بصفته مسؤول بيت الأنصار... أبدى «خطَّاب» معارضته لتسكينه مع أعضاء كتيبته في نفس المكان، قائلًا إنه لم يأتِ للانضمام إلى «جبهة النصرة» لكي تضيع مكانته، وأنهم يجب أن يحافظوا له على وضعه، سواء داخل الجبهة، أو من خلال التمييز في السكن والإقامة، فاحتوى «أبو جندل» الموقف وقام بنقله إلى أحد المنازل الأخرى، وأخبره أنه يتفهم ذلك، وأنه سوف يتقابل مع أمير الجبهة وقياداتها، وكل شيء سيكون على ما يرام.

ولكن هناك ضوابط للجبهة وتدريبات وتعاليم أمنية سوف يتلقاها عناصر الكتيبة وفقًا لضوابط الجبهة ومرجعيتها لقيادة تنظيم القاعدة وضرورة الالتزام بها.

أبدى «أبو خطاب» تحفُّظًا بسيطًا على ذلك، قائِلًا:

- لم آتِ إليكم مع هواة، وإنما هم مقاتلون في سبيل الله، وقاموا بعدد من العمليات الناجحة في منطقة «دار عزة»، ومن المؤكَّد أن تكون قد وصلت إليكم أنباء تلك العمليات.

فقال أبو جندل:

- يا أخى أبو خطاب، هذا ليس تقليلًا من شأنك أو شأن رجالك، لكن أرجو منك إرجاء كل تلك الأشياء لحين مقابلة الأمير، وسوف يتم تدبير كل شيء، وخاصة أنكم قادمون من سفر طويل وتحتاجون قسطًا من الراحة.

قيادة جبهة النصرة:

وفَّر أبو جندل المهاجر مسؤول بيت الأنصار الطعام والشراء لعناصر كتيبة خطاب، حيث باتوا ليلتهم في دار الأنصار بينما توجَّه خطاب إلى مقر قيادة جبهة النصرة برفقة «أبو جندل» حيث التقى بأمير الجبهة «أبو محمد الجولاني» الذي قام بالترحيب به وبكتيبته، وقام بتعريفه على باقي قيادات الجبهة:

- هؤلاء هم الستة الذين أسَّسوا الجبهة: أبو صالح الحمودي من سوريا، وأبو ماريا القحطاني من العراق، وأبو أنس أردني فلسطيني، وإياد أبو حليب أردني، أبو عمر الفلسطيني، أنس حسن خطاب من سوريا، وهذا خطاب من مصر...

تحدث أبو محمد الجولاني عن تبعيتهم لأمير تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، ومن قبله الزعيم الروحي للقاعدة أسامة بن لادن.

تحدَّث خطاب بأنه هو ورفاقه أتوا من أجل نصرة الإسلام والمسلمين، وأنه وعناصره ليس لهم سوى الشهادة في سبيل الله والفوز بالجنة إن شاء رب العالمين، وتساءل عن علاقة الجبهة بالجيش الحر والدواعش، خاصة في وجود بعض المواقع الإخبارية تتحدث عن وجود تعاون ما بين الجبهة والجيش الحر في سوريا، وقد ظهر هذا في تصريحات «أبو حيدر السوري» منشق الثورة والمعارضة في مدينة حلب، حيث قال إن مقاتلي جبهة النصرة ذوو خبرة عالية، وأنهم مثل قوات النخبة الكوماندوز.

فأجابه أبو محمد الجولاني:

- نحن نعمل بمبدأ عدو عدوِّي صديقي، وهناك خطر داهم الآن يأتي من جانب نظام بشار الأسد، لكن عقب الانتهاء منه سوف نتفرَّغ للآخرين، أما فيما يخص داعش فنحن تحت لواء وراية واحدة، ألا وهى تنظيم

القاعدة، وعلينا الالتزام بمبدأ السمع والطاعة، ولتحرصْ على انضمام كافة عناصر كتيبتك إلى معسكر الفاروق، وهو معسكر إعدادي لعناصر كتيبتك.

قال خطاب:

- لكن عناصري قاموا بتنفيذ عمليات على الأرض وليسوا منضمِّين جدًا إلى الجهاد، فهم لهم باع في الجهاد وتنفيذ العمليات.

فأشار الجولاني لمبدأ السمع والطاعة والالتزام بالبيعة التي أقسم عليها، فتساءل خطاب:

- وماذا عن موقعي أنا في صفوف الجبهة؟!!

- سوف نتشاور مع الإخوة، وسيتم تحديد دورك في القتال، وسوف نخبرك به.

أبدى خطاب امتعاضة ممَّا سمعه، وقام بالانصراف وبرفقته أبو جندل، تاركًا مركز القيادة.

بعد مُضيِّه تشاور أعضاء مجلس شورى الجبهة مع مسؤوليها، كان البعض يرى أن هذا الشاب (خطاب) يسعى إلى موقع الزعامة فقط، وإلا ما كان سيأتي إلى هنا إلا تحت ضغط وخشية نهايته في أي عملية دون فائدة.

قال الجولاني: سنرى ماذا ستسفر عنه الأيام المقبلة، فلا داعي للعجلة في الحكم عليه.

توجه أبو جندل المصري وبرفقته خطاب إلى مقر إقامته، وأمر بإعداد عشاء يليق به، وتركه وانصرف وهو يحاول لآخر لحظة أن يشدَّ من أزره ويطمئنه بأنه سيشعر بالراحة معهم.

معكسر الفاروق التابع لجبهة النصرة

يُعَدُّ معسكر «الفاروق» مركز التدريب الرئيسي لعناصر جبهة النصرة، وهو عبارة عن مساحة صحراوية بريف دمشق متواجد بها ميادين تدريب للرماية وميادين أخرى لعبور المواقع وعدد من الخيام، بالإضافة إلى مبنى إداري للمعسكر.

صباح اليوم التالي توجه أبو دجانة ورفاقه إلى المعسكر، فالتقوا بـ «أبو عبد الله» المدرب ومسؤول معكسر «الفاروق»، حيث قام بتعريفهم على قادة المعسكر:

- هذا أبو الليث الفلسطيني مسؤول التدريب، وهو أحد أعضاء كتائب عز الدين القسام، وهذا أبو حزم الشرعي، وهذا أبو النصر الأنصاري مسؤول الشرح النظري، وهذا الفيومي مسؤول الإعاشة داخل المعسكر... ونحن بصدد إعطائكم دورة إعداد مقاتل، ومدتها 15 يومًا، وسوف يتم إعادة الدور لمن لا يتجاوز اختباراتها. تلك الدورة هدفها إعداد العناصر للمشاركة بفاعلية في القتال. داخل المعسكر يلزم الاستفادة من قدرات كل المنضمِّين؛ فليس جميكم يصلح للقتال، فهي منظومة عمل كاملة... والدليل على ذلك وجود «أبو أحمد الطباخ»، من أهم العناصر المتواجدة، وهو مسؤول عن إعداد الطعام وتوفير المخزون لكافة العناصر المتدربة.. وهنا أيضًا «أبو راضي» الطبيب، وهو مسؤول الدعم الطبي ومعالجة المصابين وتوفير الاحتياجات من أدوية، وهنا كذلك آخرون لهم أدوار أخرى داخل المعسكر، فليس كل من تواجد في المعسكر يصلح للقتال. والخيم المتواجدة في المعسكر هدفها التأقلم على حياة القتال والعودة إلى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم.

تلاحظ لـ «أبو دجانة» تواجد أشخاص آخرين من جنسيات عربية وأجنبية داخل المعسكر.

فجر اليوم التالي قام أبو عبد الله المدرِّب، مسؤول المعسكر، بإيقاظ كافة المتواجدين لأداء صلاة الفجر، وعقب ذلك قام بعمل دورة لإعداد اللياقة البدنية، شارك بها كل من: أبو دجانة وأبو صلاح وأبو عمر الكويتي وباقي أفراد الكتيبة البالغ عددها حوالي 70 شخصًا، وهي عبارة عن تمارين جري وتقوية عضلات البطن والظهر، والضغط، والوثب؛ لرفع الكفاءة البدنية للعناصر المشاركة، استمر التدريب لمدة ساعة ونصف. عقب ذلك خلدوا للراحة لمدة ساعتين، وقاموا

بعدها بأداء صلاة الظهر، وعقب الصلاة قام «أبو النصر الأنصاري» بالالتقاء بهم، وإعطائهم دورة نظرية في مكوِّنات الأسلحة الآلية وأنواع الأسلحة المستخدَمة في المعارك، وطرق فَكِّها وتركيبها وكيفية تنظيفها. وكذلك قدَّم شرحًا للأسلحة الثقيلة من (R.B.G)، والمتعدِّد، والصواريخ، والهاون، وكيفية استخدامها نظريًّا، واستمرت تلك الجلسة لمدة ساعتين ونصف الساعة، وقام بأداء صلاة العصر جماعةبعدها.

عقب انتهاء صلاة العصر قام أبو أحمد الطباخ بإعداد طعام الغداء للعناصر المتواجدة في المعسكر، تناول المتدربون الطعام، ثم منحهم «أبو عبد الله» راحة لمدة ساعة ونصف، أعقبها تدريب على الرماية بأنواع الأسلحة المختلفة، وكان يتولى ذلك «أبو الليث الفلسطيني»، وأشار ببداية الرماية على الأسلحة الآلية لكافة المتواجدين، قائلًا إنه سيتم اختيار المتميزين منهم للتدريب على الأسلحة الثقيلة.

وفي المساء تم الإعداد للدورة الشرعية التي يتولَّى تدريبها أبو حزم الشرعي، تحدث خلالها عن أن السبب في تواجدهم في هذا المكان هو أداء أعظم فريضة على الإطلاق، وهي الجهاد في سبيل الله، ونصرة المظلوم، والقضاء على نظام «الأسد» وإسقاطه؛ لأن في عهده اغْتُصِبَت النساء وقُتِلَ الأطفال، وأخذ يسهب في ذِكْر الأدلة من القرآن والسنة النبوية عن فضل الجهاد، وإثبات تكفير النظام القائم في سوريا وتكفير أعوانه من الطواغيت من الجيش والشرطة، وأن قتالهم هنا ليس من أجل الشهادة في سبيل الله.

تحدَّث «أبو دجانة» عقب نهاية اليوم مع «أبو صلاح»:

- الوضع هنا مختلف عن كتيبة خطاب... هنا أكثر تنظيمًا، وتوجد الإمكانيات لإتمام رسالة الجهاد وتحقيق شروط الجهاد، وهي الجهاد تحت راية واحدة وهي راية تنظيم القاعدة.

أيَّد أبو صلاح كلام أبو دجانة وأبدى سعادته بالمشاركة بفاعلية في تحقيق الرسالة، ولكنه شدَّد على ضرورة اجتيازهما دورة إعداد المقاتل، حتى يخوَّل لهما الوصول للهدف الأسمى.

في الليل التقى أبو دجانة بالفيومي مسؤول الإعاشة بالمعسكر، وأخذا يتحاوران مع بعض في حديث طويل:

أبو دجانة: يا أخي الفيومي، لاحظت من اسمك أنك مصري، وأظنُّ اسم الفيومي نسبة إلى محافظة الفيوم...

فضحك الفيومي قائلًا: ليس كما ظننت... أنا من بلد قريبة من الفيوم.

فسأله أبو دجانة: منذ متى وأنت متواجد في صفوف القاعدة؟

الفيومي: كان انضمامي لصفوف القاعدة في 2009، وشاركت في صفوف التنظيم بدولة اليمن، أنا وأبو جندل مسؤول بيت الأنصار، وأخ آخر يُدْعَى صبري، تَقبَّلَه الله، مات أثناء إحدى العمليات مع الجيش الكافر المرتد، وظللنا هناك لفترة، حتى اندلعت الحرب في سوريا فانتقلنا إليها لنصرة دين الله وإسقاط نظام الأسد الكافر.

- وماذا عن أسرتك؟
- ليس لديَّ أحد الآن...
- ألم تتزوَّج؟
- كنت متزوِّجًا وانفصلت عن زوجتي...
- هل لك أولاد؟
- لا، أنا لا أنجب...
- وماذا عن أسرة «أبو جندل»؟
- نعم... ترك زوجته وثلاثة أطفال وأتى إلى الجهاد.
- مَن يتكفَّل بهم؟

ارتبك الفيومي، وحاول تغيير مسار الحديث:

- دعك من هذا الحديث، يبدو أنك شخص جيد، وسيكون لك شأن في أوساط الإخوة، لكن لا تسأل أحدًا عن أشياء تخصهم؛ لأن ذلك سوف يثير فيك الشبهات، وقد يُعرّضك للإيذاء، وأنا حدثتك في هذا الشأن نظرًا لصغر سِنّك...

أكبر عمليات جبهة النصرة في سوريا:

بعد عدة أيام من الدورة التدريبية بمعسكر «الفاروق» قام أبو عبد الله المدرب، مسؤول المعسكر، بتجميع المتواجدين وقال لهم:

- أيها الإخوة... أزفُّ إليكم خبرًا سارًّا؛ قامت أسود الجبهة بتنفيذ عملية كبيرة، وهي الهجوم على كمين «الميدان» وراح ضحيتها أكثر من عشرين شخصًا من جيش الرِّدَّة، نفَّذها أحد أشبالنا: أبو البراء الشامي، تقبَّله الله؛ حيث قام بتفجير نفسه ثأرًا لأم عبد الله من مدينة حمص، والتي انتهك مجرمو النظام كرامتها وهدَّدوها بذبح ابنها...

تعالَت الأصوات بالتكبير، وقام بعضهم بالسجود شكرًا لله لتنفيذ تلك العملية... ران على «أبو دجانة» الصمت للحظات، ولم يُبْدِ أي انطباع عمَّا حدث؛ مما أثار انتباه الفيومي؛ فسأله:

- ألم تفرحك تلك الأخبار؟!

فردَّ أبو دجانة:

- تعجبني بالطبع، ولكن أتساءل من داخلي: كيف يُقْدِمُ شخصًا على قتل نفسه بنفسه بمحض إرادته، أنا أعلم أن القتال أن أقتل شخصًا أو أن شخصًا يقتلني، أمَّا إزهاق روحك... فهذا شيء صعب جدًا!

فردَّ الفيومي:

- أنا معك، ولكن مَن يُقْدِم على ذلك فقد تملَّك الإيمان من قلبه... إنه يترك الدنيا بزخرفها في سبيل الجهاد في سبيل الله والجنة الموعودة، ولقاء الحور العين. سنتحدث ليلًا سويًّا في تلك الأمور، لكن عليك الآن باستكمال تدريباتك

مساء ذات اليوم تقابل أبو دجانة مع الفيومي وأخذه من يده وتوجهوا إلى «أبو حزم الشرعي» المسؤول الشرعي للمعسكر، حيث تحدث الفيومي قائِلًا:

- لدينا هنا يا «أبو حزم» أخونا أبو دجانة، يريد أن يعلم مدى مشروعية العمليات الاستشهادية...

فتحدث أبو حزم:

- إن الأدلة الشرعية في ذلك ثابتة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة الطاهرة؛ قال تعالى: « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ»، فلا فرق عند الله: هل قضى من باع نفسه لربه برصاصة تلقَّاها في صدره، مُقْبِلًا غير مدبر، أو بحزام ينسف به الأعداء ويقطع أشلاءهم ويمزقها... يبقى طعم الشهاده واحدًا في الحالتين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ»... صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم... والشاعر يقول:

إني بذلت الرُّوحَ دون كرامتي　　　وسَلَكْتُ دَرْبَ الموتِ أَبْغِي مَفْخَرَا

وَغَرَسْتُ في كَنَفَ المنِيَّةِ مُهْجَتِي　　　ورَوَيْتُ بالدَّمِ ما غَرَسْتُ فَأَزْهَرَا

تبسَّم أبو دجانة عقب سماعه الشعر، وقال:

- فتح الله عليك أخي «أبو الحزم»، فأنت لديك حُجَّة...

استأذن الفيومي وأبو دجانة من «أبو الحزم» وهمَّا بالانصراف مُتَّجِهَيْن إلى إحدى الخيام المعدَّة للمبيت.

سأل أبو دجانة الفيومي: عقب الانتهاء من دورة إعداد المقاتل، هل سيتم السماح لنا بالمشاركه في القتال؟

فردَّ الفيومي: لا الموضوع ليس بهذه السهولة، ولكنكم سيتم تصنيفكم وستتم عملية التصنيف حسب قدرات كل فرد منكم، وحسب كيفية الاستفادة منه.

فأعرب أبو دجانة عن تمنِّيه بالمشاركة في القتال والسير على خطى قادة جيوش المسلمين العظماء.

فردَّ الفيومي: كل هذا سيتَّضح عقب انتهاء الدورة، قدراتكم هي الحكم والفيصل.

أبو دجانة: وماذا بعد هذا التصنيف؟ ماذا نفعل؟

- وعقب ذلك، سيتم أخذ البيعة منكم لقيادة تنظيم القاعدة؛ الشيخ أيمن الظواهري.
- هل قابلت الشيخ أيمن الظواهري أو الشيخ أسامة بن لادن من قبل؟
- للأسف الشديد... لم يحالفني الحظ لمقابلتهم شخصيًّا، ولكنني متابع لكل رسائلهم وخطبهم وكُتُبهم.
- ولكن... ما هو تاريخ القاعدة؟

اندهش الفيومي من سؤاله قائلًا: ألا تعلم تاريخ الراية التي تقاتل في ظِلِّها؟!

أبو دجانة: أنا أعلم الغزو فقط لأن قرار السفر واللحاق بالمجاهدين جاء سريعًا، وسوف أقصُّ لك قصتي في وقت آخر، ولكن بصفتك من العناصر المهمه هنا، احْكِ لي قصة القاعدة...

بدأ الفيومي بالحديث حول ظهور اسم القاعدة في أواخر عام 1989 وأوائل 1990، وأوضح له أنها حركة إسلامية جهادية متعددة الجنسيات، تهدف إلى الجهاد الدولي ضد الكفرة والمرتدِّين، وليست قاصرة على بلاد المسلمين فقط، وإنما تهدف إلى غزو الكفار في ديارهم، وكان الهدف الأول لها في تلك الفترة هو محاربة الاحتلال السوفييتي الشيوعي في أفغانستان، جنبًا إلى جنب مع المجاهدين الأفغان، الذين كانوا يتلقون الدعم من بعض الدول مثل أمريكا في إطار سياسة «عدو عدوي صديقي»، وخلال تلك الفترة توافدت أعداد كبيرة من العرب للقتال بصحبة المجاهدين، حتى أطلق عليهم مسمَّى «الأفغان العرب»، وكان هدفهم محاربة الماركسية، وكان هناك مكتب خدمات المجاهدين العرب، كان هذا المكتب يتلقى التبرعات من أثرياء وحكومات بعض الدول الإسلامية، حتى بلغت حوالي 600 مليون دولار سنويًّا، هذا مبلغ كبير جدًّا خلال تلك الفترة، وكان للشيخ بن لادن -رحمة الله عليه- دور بارز بمشاركة شيخ المجاهدين عبد الله عزام في تأسيس مكتب الخدمات في بيشاور بباكستان، وأصبح هذا المكتب هو مقصد كافَّة المجاهدين على مستوى العالم لمن يرغب في الجهاد، خاصة من دول أوروبا المختلفة، وكان هناك دور للجاليات الإسلامية والمراكز الإسلامية، وبدأ بن لادن في إقامة معسكرات شبه عسكرية بالقرب من الحدود الأفغانية

الباكستانية، وتدريب الراغبين في الجهاد من أجل المشاركة في حقل الجهاد بأفغانستان. في نهايه الحرب السوفييتية في أفغانستان، انسحبت القوات السوفييتية من هناك، فكان رأي قيادة المكتب في ذلك الوقت هو التوسُّع في نطاق عملياتهم ونشر الجهاد في أجزاء من العالم؛ كإسرائيل وكشمير، تمَّ تشغيل عدة منظمات متداخلة ومتشابكة، منها تنظيم القاعدة، والتي شكَّلها الشيخ أسامة بن لادن، فكان الشيخ أسامة يرى القيام بعمليات في مناطق أخرى من العالم، بينما كان الشيخ عبد الله عزام يرى بضرورة التركيز على العمليات العسكرية. وعقب وفاته حدث انقسام داخل مكتب الخدمات، وانضمَّت أعداد كبيره إلى بن لادن؛ فقام بتأسيس تنظيم القاعدة، بمشاركة كل من الشيخ الظواهري وسيد إمام الشريف، وتم التوسُّع في انشاء أماكن وفروع موالية لتنظيم القاعدة في العراق، وتولى الشيخ بن لادن منصب الأمير ورئيس هيئة عمليات القاعدة، والشيخ الظواهري نائبَ رئيس العمليات، وتولى أبو حمزة المهاجر مسؤولية التنظيم في العراق، وتم عمل تشكيلات داخلية، هي:

(1) لجنة عسكرية: وهي المسؤولة عن التدريب وتوفير السلاح.

(2) لجنة المال والأعمال: وهي التي تمول العمليات من خلال توفير تذاكر الطيران وجوازات السفر المزوَّرة لتنفيذ تلك العمليات.

(3) اللجنة الشرعية: وهي التي تراجع أعمال التنظيم من الزاوية الشرعية ومدى توافقها مع الشرع.

(4) اللجنة الإسلامية: وهي التي تصدر العقائد الشرعية للتنظيم.

(5) لجنة الإعلام: وتركز جهدها في الترويج للتنظيم؛ من أجل استقطاب الشباب وضخ المزيد من التبرعات.

وقد قامت القاعدة بتنفيذ العديد من العمليات في عدد من بلدان العالم، أهمها وأشهرها عملية 11 سبتمبر المشهورة، والتي هزَّت كيان أمريكا، وتفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام. وعقب استشهاد الشيخ أسامة بن لادن تولَّى الشيخ الظواهري رئاسة القاعدة، وتم تكوين جماعة في اليمن تحت مسمَّى «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب»، ومع اندلاع الثورات في عدد من البلدان العربية تم نقلي للمشاركة في جبهة النُّصرة تحت لواء القاعدة في سوريا؛ لأن سوريا هي أرض الفتن، وأن حرب الشام هي التي تسبق نهاية العالم...

قاطعه أبو دجانة قائلًا: الجهاد يتطلَّب ويتكلَّف أموالًا باهظة، ويتم دعمه من خلال دول، فلا يستطيع أشخاص أن يقوموا بتمويله... أتفهم هذا جيِّدًا، والدول التي تُدعِّمنا في الحرب هنا لها مصالح في سقوط نظام «الأسد»، لكننا نخوض هذه الحرب بداعي الجهاد، ونحن في ذلك نستغل هذه الدول ودعمها حتى نصل إلى هدفنا؛ إذًا... نحن نتبع مبدأ الغاية تبرِّر الوسيلة، أليس كذلك؟!

الفيومي: ليس هكذا بالضبط... لكن الفكرة تدور حول تبادُل وتلاقي المصالح...

أبو دجانة: الله المستعان...

في اليوم قبل الأخير لنهاية دورة إعداد المقاتل، وأثناء قيام «أبو دجانة» باجتياز الموانع انزلقت قدمه وسقط عليه أحد الهياكل المنصوبة في ميدان التدريب؛ ممَّا أدَّى إلى كسر قدمه، شعر أبو دجانة بآلام شديدة، وهرع المشاركون في التدريبات إليه، وقام الفيومي على الفور باستدعاء «أبو عبد الله» الطبيب، الذي بمجرد وصوله طلب نقله على الفور للعيادة المخصَّصة بالمعسكر، وقام بالكشف الطبي عليه، أخبر الفيومي بعدها بوجود كسر مضاعف بالقدم اليمنى، يحتاج لإجراء عملية جراحية وتركيب شرائح بلاتينية ومسامير، وأخبره أن الإمكانيات ليست متوفِّرة لديهم، كما أنهم يحتاجون إلى جرَّاح.

فسأله أبو عبد الله: وما الحل البديل لذلك؟

رد الطبيب: البديل هو وضع قدمه بالكامل في الجبس، وسنعمل على التئام الجرح، ولكن ذلك سيستغرق مدة طويلة، وأخشى أن ذلك قد يترك أثرًا...

قاطعه أبو عبد الله قائلًا: نَفِّذْ ذلك!

فتدخل الفيومي في الحوار قائلًا: فلنبحث علاجه في أي مكان آخر...

ردَّ أبو عبد الله: الأمر ليس مهمًّا، لا يتطلب منا المغامرة، ثم إنه مشروع شهيد بالأساس...

القاهرة– مدينة نصر:

عقب هدوء المظاهرات وأعمال العنف التي واكبت فضَّ اعتصام «رابعة العدوية» و«النهضة» وملاحقة قيادات تنظيم الإخوان الإرهابي والقبض على العديد منهم، خاصة المشهورين إعلاميًّا، حدث تواصل بين الدكتور محمد ناجي وكريم يسري، طلبه الأول في مقابلة لأمر مهم، على أن يراعي التدابير الأمنية المطلوبة أثناء قدومه، فطلب منه أن يستقلَّ دراجة نارية من المستخدَمة لتوصيل الطلبات للمنازل (دليفري) أثناء التوجُّه لمقابلته، بالفعل نفَّذ كريم التكليف الصادر له، وتوجَّه إلى الشقة التي يختبئ فيها الدكتور بنفس الطريقة التي أمره بها، وفور وصوله، وبعد السلام وعبارات الترحيب أخبره الدكتور ناجي بأنه حصل على تكليف من قيادات الجماعة بالخارج، وبالتنسيق مع بعض الأصدقاء لإحياء فكرة النظام الخاص، والذي أسَّسه السِّندي، وأنه سيتولَّى تلك المسؤولية، وتم وضع خطة طويلة المدى، مدروسة، لانتهاج سياسة النفس الطويل مع ذلك الانقلاب، خاصة في ظل وجود تأييد في الشارع المصري له، وقد تم اختيار مسمَّى (العمليات النوعية) لتلك المجموعات، وتم اختيار عدد من الشباب المؤمن بالفكرة لتكوين مجموعات في محافظات مصر، فيما يشبه نظام الخلايا العنقودية، تقوم تلك المجموعات بأحداث تصعيدية ضد نظام الدولة، ويكون لها صدى إعلامي لإظهار الحكومة عاجزة، وذلك على عدة مراحل، وهي مرحلة الإرباك، تليها مرحلة الإنهاك، تليها مرحلة الإضعاف والإفشال والحسم، وسوف يتم شرح كل مرحلة وكيفية تنفيذها، وكذلك تحديد القائمين عليها... أمَّا أنت يا كريم فستتولى مسؤوليةً أكبر مما كانت موكلة إليك؛ ألا وهي مسؤولية اختيار فريق كامل من طُلَّاب كلية العلوم، على أن يكون إيمانهم راسخ وعقيدتهم ثابتة؛ ليكونوا مسؤولين عن تصنيع عبوات متفجرة، وقنابل متنوعة، وعبوات هيكلية حديدية مُعدَّة لوضع مواد شديدة الانفجار، بها دوائر وأسلاك كهربائية وبعض قطع الحديد لاستخدامها كشظايا؛ لاستخدامها في تلك العمليات، وستكون أنت مسؤول التصنيع المركزي، وكل الإمكانيات المادية مفتوحة لك ولفريق عملك لتنفيذ ذلك.

مرحله الإرباك:

بدأ محمد ناجي في اتخاذ خطوات جادة في إعادة إحياء النظام الخاص، ونفَّذ بنود الخطة التي تم وضعها في تركيا، حيث تواصل مع عدد من مسؤولي الشباب بالمكاتب الإدارية للتنظيم في عدد من المحافظات، وأوكل لهم تنفيذ أولى خطواتها التي تعتمد على تنفيذ عدد من التظاهرات في العديد من الأماكن بأعداد صغيرة، ويتم تعيين عدد من الشباب الأقوياء بدنيًّا لتأمين تلك التظاهرات، وحال وصول القوات الأمنية يتم فض تلك التظاهرات؛ مما يؤدِّي إلى حالة من الإرباك للدولة، وعدم تفرُّغهم لعملهم، وانصرافهم عن كل شيء سوى متابعة التظاهرات.

التقي ناجي بمجموعة من الشباب، وقام بتوزيعهم على المناطق المستهجفة، مع منح كل منهم اسمًا حركيًّا، على النحو التالي:

1- محمد سامي (الاسم الحركي: ضيف)، مسؤول محافظة القاهرة.

2- شريف أنور (الاسم الحركي: مسعد)، مسؤول محافظة الجيزة.

3- سيد عصر (الاسم الحركي: رضا)، مسؤول محافظه الإسكندرية.

4- أيمن يوسف (الاسم الحركي: الأحول)، مسؤول محافظة الفيوم.

5- أيمن مصطفى (الاسم الحركي شاهر)، مسؤول محافظة الغربية.

6- إسلام إبراهيم (الاسم الحركي: شوكت)، مسؤول محافظة المنوفية.

7- إمام سكر (الاسم الحركي: الطوبجي)، المشرف العام ومسؤول العمليات.

وأعطى لهم تعليماته بأن يتولَّى مسؤول كل مجموعة اختيار عدد من الشباب لتنفيذ التوجُّهات تحت إشراف كل منهم، وبأن التكليفات سوف تصدر لهم من خلال مسؤول العمليات (الطوبجي)، وشدَّد على ضرورة اتباع التعليمات الأمنية للعناصر القاعدية بشكل صارم، وكذا استخدام الأسماء الحركية في التعامل، ويحظر التعامل بالأسماء الحقيقية.

فتحدث الطوبجي قائِلًا بأن كل شيء سيكون على ما يُرام، وبأنهم سيكونون عند حُسن الظن (إن شاء الله)، «ولكن... ماذا عن الحدود المسموحة لنا في تلك العمليات من ناحية التمويل وما تحتاجه من أدوات؟».

قال له ناجي: الدعم ليس له حدود، وبالنسبة للأدوات المطلوبة فسيكون كل شيء في وقته...

وقام بإعطاء مبلغ مائة ألف جنيه لكل مسؤول مجموعة من الأقاليم، وأعطى ثلاثمائة ألف جنيه لمسؤولي مجموعات القاهرة والجيزة والإسكندرية، وأعطى للطوبجي مبلغ نصف مليون جنيه.

قال شاهر مسؤول الغربية: الشعب في حالة تعاطف مع الدولة الآن، ويصعب علينا الحشد في مظاهرات.

ردَّ ناجي: من الممكن استئجار بعض البلطجيَّة والعاطلين نظير أموال، المهم عندي أن تحدث حالة من الارتباك.

وأشار إلى أن التكليفات –سواء بالتصعيد أو خلافه– ستنقل إليهم عن طريق الطوبجي؛ لأنه لن يظهر في الصورة مرة أخرى، «لأنه لو تم ضبطي أو قتلي فسوف يحدث خلل في المنظومة، وسينقطع الاتصال مع الخارج».

بدأت عناصر الجماعة في تنفيذ بنود الخطة بالتحرك في عدد من المحافظات، وإحداث حالة من البلبلة في أوساط الشعب، واستمرت تلك الطريقة لمدة شهر دون حدوث تأثير على الدولة.

تحدَّث الطوبجي مع مسؤولي المحافظات بأن الخطة لم تحقِّق الهدف منها، وهناك حالة من الضَّعف في التظاهرات، فردَّ عليه مسؤولو المحافظات بعدم وجود تعاطُف مع الإخوان في الشارع، لدرجة أنه في بعض الأماكن يكون الهجوم على المتظاهرين من قِبل الأهالي أنفسهم، كما أن عددًا كبيرًا من العاطلين والمسجَّلين رفضوا فكرة المشاركة؛ خشية ضبطهم من الأمن.

نقل الطوبجي تلك الصورة إلى مسؤول النظام الخاص الجديد، وأخبره أن الوضع غير ملائم لاستمرار التظاهرات، في ظل وجود حالة من الإحباط لدى المشاركين، حتى من الإخوان أنفسهم.

ناجي: لا بُدَّ من استمرار حالة الحراك السياسي والتظاهرات في الشارع المصري، والاعتماد على تصوير تلك التظاهرات وبثِّها عبر قناة الجزيرة والقنوات الموالية لنا.

الطوبجي: أي قنوات؟!، لقد قام الأمن بغلق كافَّة القنوات التابعة والمؤيِّدة للجماعة!

ناجي: إن الجماعة بصدد إطلاق قنوات تُبَثُّ مباشرة من تركيا، تعرض برامج لشخصيات محسوبة على التيار الليبرالي، ولاؤهم للإخوان؛ لتكون من أهم المنابر الداعمة للإخوان، وسنعمل على رصد السلبيات داخل مصر، والتركيز عليها من خلال منهج سياسة النَّفَس الطويل؛ لذا يجب ألا تفقد عناصر الجماعة الأمل، فالهدف خلال تلك المرحلة هو إثبات التواجد أكثر من أي شيء آخر، وإبراز أن الأوضاع غير مستقرة؛ لعدم تمكين الدولة من جلب استثمارات جديدة، وعدم تعافي الاقتصاد المصري.

مرحلة الإنهاك:

تواصل كريم يسري مسؤول التصنيع مع د. ناجي وطلب مقابلته؛ حيث قام بعرض إحدى العبوات المتفجرة التي استطاعوا تصنيعها محليًّا، وتعمل بطريقة التفجير عن بُعْد، سأله ناجي عن المواد المستخدمة فيها وآلية تشغيلها ومدي تأثيرها، فقام كريم بشرح مكونات العبوة، ودائرة الاتصال، وكيفيه تفجيرها باستخدام شريحة محمول، وأوضح له أنه عند التفجير يتم الاتصال برقم الشريحة المزروعة بالعبوة؛ فتتولد شحنة كهربية تصل للمفجِّر، وبالتالي يقع التفجير.

ناجي: هذه خطوة جيدة، المهم أن يتم تنفيذ العمليات بدقة، ودون أن يظهر الشخص الذي سيقوم بزرع العبوات للكاميرات المنتشرة في الشوارع... سنبدأ بوضع بعض تلك العبوات في النقاط الأمنية، وسوف يصدر التكليف للمنفِّذين في كل عملية... كم عبوة جاهزة الآن يا حبيبي؟

كريم: جهزنا عشر عبوات حتى الآن...

ناجي: تمام... ضع العبوات الجاهزة حاليًا في المخزن في شقة فيصل...

بعد يومين أبلغ كريم الدكتور ناجي بأن العبوات وصلت الآن للمخزن المتَّفق عليه؛ فبادر ناجي بالتواصل مع الطوبجي ومدَّه بخريطة لإنتاج الكهرباء على مستوى الجمهورية.

سأله الطوبجي: من أين حصلت على تلك الخريطة؟ هذا إنجاز رائع!

ناجي: مازالت أذرعنا موجودة في كل مكان ولله الحمد، حصلنا على الخريطة من أحد العناصر التابعة لنا في شركة الكهرباء... العمليات القادمة هي استهداف أبراج الكهرباء في مصر كلها... قل لي... من أين نبدأ؟

الطوبجي: من الفيوم... الأحول والإخوة هناك جاهزون في أي وقت.

ناجي: تمام... على بركة الله، تقوم بأخذ ثلاث عبوات من المخزن وتعطيهم لمسؤول الفيوم لتنفيذ العملية.

تلقى الطوبجي التكليف من ناجي، وشرع في التنفيذ، فقام بالتنسيق مع الأحول ومجموعته لاستهداف برج الضغط العالي بقرية «كفر محفوظ»، التابعة لمركز «طامية» بمحافظه الفيوم.

أحدث الانفجار دويًّا ضخمًا سمعه الأهالي؛ مما أدَّى إلى سقوط البرج دون حدوث إصابات، ولكن الأهالي أصيبوا بحالة من الذعر والرعب...

أبدى ناجي سعادته البالغة بتنفيذ العملية، وقام بالاتصال بالطوبجي يهنِّئه بنجاح العملية، وقام بتحفيزه على الاستمرار في استهداف تلك الأبراج في كل مكان، وكذلك محطات توليد الكهرباء وأعمدة الضغط المتوسطة وأكشاك توزيع الكهرباء؛ لإحداث خسائر مادية للدولة؛ لإشعار المواطن بعدم الأمان، وخلق جو من عدم الاستقرار.

فسأله الطوبجي عن الأماكن الأخرى التي قرروا تفجيرها، وكيفية تحديدها على الخريطة، فأجابه ناجي بأنهم يعملون على تحديد الأماكن الأكثر حيوية التي سيستهدفونها في الفترة القادمة، وسيتم تحديدها على موقع جوجل، بإحداثياتها، وأخبره أنه من الضروري استهداف كافة الأبراج الهامة، والتي تحدث أكبر قدر من التأثير... «نريد أن يستيقظ المواطن كل يوم على عملية جديدة، لا بُدَّ أن يندم الشعب المصري على مساندته للانقلاب الذي أطاح بنا...».

استمرَّت عمليات التخريب عملية تلو الأخرى، وانتشرت عمليات تفجير محطات الكهرباء في عدد من مدن وقرى مصر.

قام ناجي بتوضيح نتائج تلك العمليات للجانب التركي؛ من أجل استمرار الدعم المالي للعناصر المنفِّذة على الأرض، ولقيت تلك العمليات استحسان المخابرات التركية، وأصدروا تعليمات أخرى، وبشكل آخر...

كانت العمليات –التي أطلق عليها ناجي مصطلح «العمليات النوعية»– قد بدأت تواجه بعض الثعوبات في تنفيذها بسبب تشديد الحراسة على مواقع الكهرباء والأبراج من قبل الشرطة، فقام ناجي باستدعاء الطوبجي ليشرح له الخطوات التالية التي سيعملون عليها...

ناجي: أعتقد أن مسألة استهداف أبراج الضغط العالي ومحطات الكهرباء باتت صعبة الآن، كما أنها أدَّت الغرض منها تقريبًا... لذا سيتعين علينا أن نطوِّر تكتيك عملياتنا، وكذلك أهداف العمليات نفسها سيتغير في الفترة القادمة...

الطوبجي: وما المستهدف الجديد يا دكتور؟

ناجي: أنت ترى الدور الفعَّال الذي تلعبه الإمارات في دعم حكومة الانقلاب، سواء مادِّيًّا أو معنويًّا، وهناك تكليف باستهداف مصالح الإمارات داخل مصر.

الطوبجي: نستهدف السفارة مثلًا؟

ناجي: لا... صعبة... وتكون الحراسة شديدة عليها، انت عارف الأمن المصري واهتمامه بحراسة السفارات...

الطوبجي: وماذا نستهدف إذًا؟!

ناجي: نستهدف محطات الوقود الإماراتية، سواء في القاهرة أو الجيزة أو الإسكندرية...

الطوبجي: أنا شايف إن مجموعة الإسكندرية بقيادة رضا ممكن أن تنفذ العملية دون وقوع خسائر بشرية، وأنا هارتِّب كل شيء...

تواصل الطوبجي مع رضا وأبلغه بالعملية، وحددوا إحدى محطات الوقود الإماراتية بمنطقه كرموز، وقامت مجموعة الإسكندرية باستقلال سيارة دفع رباعي، وسيارة ماركه هيونداي، وقاموا بالهجوم عليها، حيث هاجموا العمَّال بالمحطة وجمعوهم تحت تهديد السلاح داخل غرفة من غرف المحطة، وقاموا بإطلاق الأعيرة النارية على خزانات الوقود؛

فاشتعلت المحطة بالكامل، ولاذوا بالفرار، وأثناء هروبهم من المكان شاهدوا سيارة نجدة واقفة على جانب الطريق فقاموا بإطلاق نيران أسلحتهم بكثافة عليها هي أيضًا...

الأمن الوطني– مدينة نصر:

عقد رئيس قطاع الأمن الوطني اجتماعًا موسَّعًا مع مديري الإدارات على مستوى الجمهورية إثر اتِّساع نطاق العمليات النوعية لجماعة الإخوان الإرهابية، من أجل العمل على ضبط العناصر القائمة على تلك العمليات التخريبية، أبدى رئيس القطاع استياءه من أداء العاملين بإدارة الإسكندرية؛ نظرًا لما حدث بها من تهديد للمصالح الإماراتية بالبلاد، ووجَّه بوضع خطة لتحديد وضبط العناصر المنفِّذة للحادث على وجه السرعة...

قال مدير إدارة الإسكندرية بأنهم بالفعل يمتلكون تسجيلًا لمشاهد لمرتكب حادث حرق سيارة النجدة، وأن العمل جارٍ لتحديد شخصيته وضبطه وضبط معاونيه وضبط مَن يقف خلف هذه الواقعة.

أنهى مساعد أول الوزير اجتماعه قائلًا لهم إن مصر أمانة في أعناقنا جميعًا، ويلزم علينا ضرورة السيطرة على الأعمال التخريبية التي تقوم بها الجماعة الإرهابية، خاصة مع التفويض الشعبي للحكومة والفريق السيسي وزير الدفاع في محاربة الإرهاب.

جلس المقدِّم أحمد الرفاعي في مكتبه ومعه زميله النقيب سامي من إدارة الأمن الوطني بالإسكندرية يتشاوران في أمر الشخص الذي ظهر بالكاميرا، ويدعى محمد توفيق، كان اسمه الحركي داخل التنظيم: آدم، بعد أن استطاعا تحديد شخصيته، وتم القبض عليه، قال «الرفاعي» مبتسمًا:

- عظيم جدًّا... أول الغيث قطرة... أعاننا الله على تحديد باقي المجموعة المشاركة معه، ما هي آخر أخبار التحقيقات مع «آدم» يا سامي؟

- التحقيق شغال معاه يا افندم، واعترف بإنه ضمن خلية مسؤولة عن العمليات النوعية قوامها خمسة أشخاص، هم: سعيد فتحي، (الاسم الحركي: محسن)، محمد حسين (الاسم الحركي: فريد)، محمد عبد التواب (الاسم الحركي: حسين)، ومسؤول المجموعة اسمه الحركي (رضا)... ولا يعرف اسمه الحقيقي، وأنهم عناصر منفِّذة لا يعلمون شيئًا سوى عن التكليفات التي يبلغها لهم رضا مسؤول المجموعة، وتم رصدهم وقيام مأمورية بالقبض عليهم، لكن مازال رضا غير محدَّد...

الرفاعي: تمام... يتم تسجيل اعترافاتهم وعرضهم على النيابة.

سامي: وكمان يا أحمد بك إدارة الفيوم فيه معلومات وصلت إليهم عن المجموعة التي نفذت حادث أبراج الكهرباء بقرية كفر محفوظ بمركز طامية، لكن معظم العناصر هاربة، وتم ضبط عنصرين فقط، ولكن مسؤول المجموعة، واسمه الحركي: الأحول، مازال غير محدد.

الرفاعي: يبدو أن الجماعة تستخدم أسلوب الخلايا العنقودية، لا يعرف كل عنصر من عناصر المجموعة سوى مجموعته ومسؤوله المباشر فقط... لا بُدَّ من ضبط مسؤولي المجموعات لتحديد الهيكل التنظيمي لتلك العناصر والقائمين عليها يا سامي.

- ربنا كريم يا أحمد بك، التوفيق بيد الله... طالما فيه اجتهاد سنصل إن شاء الله.

*****

هرع الطوبجي لمقابلة ناجي، وأبلغه بضبط مجموعة الإسكندرية والفيوم، وكذلك عدم تمكنهم من ضبط رضا مسؤول الإسكندرية، ولا الأحول مسؤول الفيوم.

الطوبجي: ضبط أي منهم يعني كشفي يا دكتور... بل كشفك أنت أيضا؛ لذا لا بُدَّ أن نجد طريقة لإخفائهم عن الأنظار.

ناجي: انتظر مني الرد في المكان «ج»، وبدون اتصال هاتفي، وسأخبرك بما سوف يحدث بطريقتي.

قام الدكتور ناجي بالاتصال بضابط الاتصال التركي فاتح بواسطة هاتف الثريا، وأبلغه بالمستجدات الجديدة، حيث وجَّه التركي بضرورة تهريب تلك العناصر إلى السودان، بالتنسيق مع الحكومة السودانية بقيادة البشير؛ لاستقبال تلك العناصر وتسكينهم هناك؛ لأن هناك مرحلة مقبلة من المواجهة مع الحكومة المصرية، وضرورة إبلاغ باقي العناصر بإيقاف أعمالهم حاليًا، وبصفة مؤقَّتة، فيما عدا مسؤول التصنيع... هو مَن يستمر في عمله فقط.

أبلغ ناجي الطوبجي بالتعليمات الجديدة، وأمر بإيقاف كافَّة الأعمال لحين صدور تعليمات جديدة...

معسكر الفاروق– (جبهة النصرة– ريف دمشق):

مرت ثلاثة شهور وقدم «أبو دجانة» بالجبس، قام بعدها أبو عبد الله الطبيب بفك الجبس عن قدمه، لكنه لم يستطع السير بشكل طبيعي؛ نظرًا لطول الفترة التي ظلت فيها قدمه بالجبس، وهو نائم في فراشه لا يتحرك إلا بالاستناد على عصا، بات أبو دجانة ليلته يتحسَّس قدمه بعد إزالة الجبس عنها، وفي صباح اليوم التالي أصيب بصدمة عندما وجد قصورًا في قدمه المصابة حوالي 3 سم، فأصبح الشاب مصابًا بعاهة مستديمة، وانفجر في بكاء شديد حتى دخل عليه الفيومي ليطيِّب خاطره ويشد من أزره، وأبلغه بأن عمله سيكون في الشؤون الإدارية داخل المعسكر، بعيدًا عن ساحة القتال؛ مما أدَّى إلى إصابته بحالة من الإحباط… قال له أبو دجانة:

- ما جئت هنا من أجل تدبير المأكل والمشرب للمجاهدين، بل جئت للقتال والجهاد في سبيل الله

أجابه الفيومي: نحن نعيش هنا في مجتمع، لو الجميع قاتلوا؛ مَن سيوفِّر لهم احتياجاتهم إذًا؟ لا تيأس يا أخي، هذا الدور تفرضه ظروفك الصحية الآن، وأعتقد أنني لست بحاجة إلى تذكيرك بمبدأ السمع والطاعة…

الخلاف بين جبهة النصرة وداعش:

بدأ أبو دجانة التأقلم مع الوضع الحالي، وتولَّى مسؤولية المخازن داخل المعسكر، وعمل حصرًا بالمؤن من طعام وشراب وأسلحة، وقام بحساب ما تحتاجه الجبهة ليطلب استكمال النواقص من المسؤولين، والفيومي من خلفه يرفع من معنوياته ويوضح مدى أهمية العمل الذي يقوم به، وخلال تلك الفترة بدأت تسري بين صفوف الجبهة أحاديث عن وجود خلافات بين الجبهة وتنظيم داعش، فهرول أبو دجانة إلى الفيومي ليسأله عن صحة ما سمعه...

أبو دجانة: هل صحيح يا أخي الفيومي ما يتناقله البعض هنا عن خلافات وقعت بين الجبهة وبين تنظيم الدولة الإسلامية؟

الفيومي: أعلن أبو بكر البغدادي مسؤول تنظيم القاعدة في العراق إلغاء اسم دولة العراق الإسلامية التابعة لتنظيم القاعدة، وإلغاء جبهة النُّصرة في الشام، ودمجها تحت اسم جديد، هو الدولة الإسلامية في العراق والشام، وأن الجبهة ما هي إلا امتداد لهم، وبثَّ ذلك عبر تسجيل صوتي.

- وهل هذا بالاتفاق مع أمير الجبهة «أبو محمد الجولاني»؟
- لا، عقب إعلان البغدادي الدمج؛ أعلن أبو محمد الجولاني رفضه القرار، وصرَّح بأن ولاءه وتبعيته المباشرة لزعيم تنظيم القاعدة الظواهري، مشيرًا إلى أنه لم يُسْتَشَر في الأمر، ولم يحدث اتفاق مع البغدادي على هذا الأمر.
- وماذا عن موقف الشيخ الظواهري ممَّا يحدث؟
- أرسل الشيخ الظواهري رسالة صوتية جاء فيها القرار بإلغاء دولة العراق والشام الإسلامية، واستمرار العمل باسم دولة العراق الإسلامية، مع الإبقاء على مسمى جبهة النصرة وتخصُّ أهل الشام، وتكون فرعًا مستقلًّا لتنظيم القاعدة يتبع قيادتها العامة، كما قرَّر تنصيب «أبو بكر البغدادي» أميرًا لدولة العراق الإسلامية، و«أبو محمد الجولاني» أميرًا لجبهة النُّصرة... على أن يشغل كلٌّ منهما المنصب لمدة سنة من تاريخه...
- وهل حدث التزام بقرار زعيم تنظيم القاعدة؟

- لا... فقد قام البغدادي بالرد برسالة صوتية قال فيها :«إن حديث الشيخ الظواهري لنا فيه مأخذٌ شرعي، ومآخذ منهجية عدة، وبعد مشاورة مجلس شورى الدولة الإسلامية في العراق والشام من المهاجرين والأنصار قرَّرتُ الرفض التام لما ورد بقراره».

ألقي الخلاف المحتدم بين جبهة النصرة والدولة الإسلامية بظلاله على المقاتلين في صفوف معسكر الفاروق؛ مما أوجد حالة من البلبلة، دعت «أبو عبد الله» المدرب مسؤول المعسكر إلى جمع كافة المتواجدين داخل المعسكر، وشدَّد على ضرورة التركيز في عملهم وتدريباتهم، وتَرْكِ تلك الأمور وغيرها لأمير الجبهة «الجولاني»، قائلًا:

- إنَّ تواجُدَنا هنا ما هو إلا للجهاد في سبيل الله، وسيكون هناك لقاء لعناصر الجبهة مع أميرها؛ للرد على كافة التساؤلات التي تشغل بال المقاتلين المتواجدين تحت لواء الجبهة.

بعدها طلب أبو عبد الله لقاء «الجولاني»، وطالبه بإلقاء خطاب في عناصر الجبهة؛ لوجود نظرة تشاؤمية لديهم مما يحدث مع تنظيم الدولة الإسلامية.

لقاء «أبو محمد الجولاني» مع عناصر الجبهة– معسكر الفاروق:

تم حشد جميع عناصر الجبهة داخل المعسكر، وخطب فيهم الجولاني قائِلًا:

«إن الخلاف مع جماعة البغدادي بدأ بسبب قيامه باستقطاب عدد من كوادر وعناصر الجبهة، وضمهم إلى جماعته دون أي تنسيق بيننا، وهناك اختلاف في الرؤى بيننا وبينه، فالبغدادي يبني لمبدأ عولمة الجهاد، بينما نحن نرى ضروره تجريد التراب السوري من دَنَسِ الشِّيعة وأنصارهم؛ أي الجهاد الوطني. نحن نحاول أن نتلافى أخطاء تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق، والذي أدَّى إلى نفور أبناء الشعب العراقي منهم ومن ممارساتهم، أما نحن فتمكَّنَّا كجبهة من تكوين قاعدة شعبية مواليَةٍ لنا، والدليل على ذلك أن أمريكا عندما وصفتنا بأننا جماعة إرهابية كان هناك ردُّ فعلٍ معارضٍ لذلك التصنيف، رافض له. والحالة التي عليها جماعة البغدادي ترجع لسببين، هما:

عدم أخذ رأي الجبهة وباقي الفصائل الإسلامية في كثير من الأمور المتعلقة بالجهاد... وآلية تعامل الدولة مع باقي الفصائل».

لم يلق حديث الجولاني المرجو منه لدى عناصر الجبهة، بل زاد من مخاوف كثيرين منهم من حجم الانشقاق الي وقع في صفوف العناصر المجاهدة، وزرع داخل نفوسهم إحساسًا بأن الهدف الذي سعوا إليه هو هدف دنيوي، وليس هدفًا دينيًّا. البعض الآخر رأى أن قرار الجولاني بالاقتصار على الجهاد المحلي في الوقت الراهن هو الأَوْلَى، وأن عولمه الجهاد تأتي في مرحلة تالية، خاصة في ظل ضرورة توحيد الصفوف، وإنشاء دولة إسلامية في سوريا، تكون محطة انطلاق إلى فتوحات إسلامية مثلما حدث في بداية ظهور الإسلام، وعودة لعصر الفتوحات الإسلامية.

مقر المخابرات التركية– اسطنبول:

عقد السيد حيدر أوغلو– مدير المخابرات التركية اجتماعًا مع مسؤولي ملف الشرق الأوسط داخل مبنى المخابرات التركية لدراسة التطورات والمتغيرات على الساحة الإقليمية، خاصة في سوريا ومصر وليبيا وتونس.

استعرض فاتح أربكان مسؤول الملف المصري الوضع الحالي على الأرض، والدعم الشعبي للحكومة الحالية داخل مصر، وحالة التفاؤل التي تجتاح الشعب المصري، وخصوصًا بعد معالجة بعض الأزمات، ومنها الكهرباء ونقص المواد البترولية، في ظل الدعم غير المحدود من جانب دول الخليج، وخاصة المملكة العربية السعودية والإمارات، بالإضافة إلى ضعف موقف جماعة الإخوان المسلمين حاليًا، ونوَّه إلى أن العمليات التي تم تنفيذها على أرض الواقع بيد عناصر الجماعة لم تجنِ ثمارها حتى الآن.

أشار أوغلو بأنه سيعتمد على محورين مهمَّيْن، هما:

الأول: تم التنسيق مع حكومة البشير في السودان لتسكين العناصر الهاربة من مصر وإعداد معسكرات تدريب لهم للانتقال إلى مرحلة جديدة، سيطلق عليها مسمَّى «مرحله الحسم»، وسيتم تدريب عدد من الشباب بالتنسيق بين فاتح والدكتور ناجي في مصر لاختيار هؤلاء الشباب، وإعادتهم لمصر لتنفيذ عمليات عدائية ضد المصالح المصرية، والقيام بتنفيذ العديد من عمليات الاغتيالات لشخصيات مؤثرة في مصر؛ لإشعار المواطن المصري بعدم قدرة النظام الحالي على حمايته وإفقاده الثقة فيه.

المحور الثاني: هو الإعلام، حيث تمَّ استقطاب عدد من أصحاب الاتجاهات الليبرالية للظهور في الإعلام من خلال إنشاء عدة قنوات إعلامية مناهضة للنظام، ليست تحت غطاء الإخوان؛ للتركيز على السلبيات خلال المرحلة المقبلة، وإعطاء الأمل للقواعد المتواجدة داخل مصر باستمرار… «هذا فيما يتعلَّق بالملف المصري»…

وانتقل أوغلو للحديث عن الملف السوري، بدأ كلامه مع مسؤول الملف السوري حول الخلاف القائم مابين جبهة النصرة وتنظيم داعش، مشيرًا إلى أنه صراع على السلطة، وأنهم خلال المرحلة المقبلة سيوجهون الدعم الكامل لداعش؛ لإظهار قوته على الساحة السورية، خاصة في ظل انتشار أفكاره في أوساط المجاهدين على مستوى العالم، وتبنيه فكرة إقامة دولة إسلامية مكتملة الأركان، لا مجرَّد تنظيم، بعد تراجع صورة تنظيم القاعدة وفشله في تحقيق أهدافه منذ سنوات.

وجَّه حيدر أوغلو حديثه إلى «أبو الحسن» (مسؤول التجنيد، ومحطة التوجيه داخل تركيا):

- علينا التَّوسُّع في إرسال عدد كبير من المقاتلين الأجانب للانضمام إلى صفوف تنظيم داعش، دعمنا لداعش سيكون مباشرًا وغير مباشر؛ الدعم المباشر سيكون من خلال إحدى الدول العربية الصديقة... تعلمونها جيِّدًا... لمدِّهم بالمال والسلاح، أمَّا غير المباشر فسيكون عن طريق شراء كميات من النفط التي استولت عليها داعش، وتهريبها عبر الحدود التركية، بالإضافة إلى ضرورة وضع الأكراد في مواجهة مباشرة مع داعش؛ خشية استغلال الأكراد الأوضاع السياسية داخل سوريا وأخذ خطوات أخرى للانفصال، مثلما حدث في العراق، ويقيمون إقليم كردستان في سوريا، يعقبه آخر في تركيا، وتقام دولة للأكراد؛ مما يهدد الأمن القومي التركي.

تحدث أوغلو أيضا فيما يتعلق بالملف الليبي، وظهور جبهة موالية للواء خليفة حفتر، تلقى دعمًا من جانب مصر من أجل إعادة الحكم العسكري في ليبيا؛ فلهذا فإنه من الضروري دعم حكومة السرَّاج، ودعم العناصر المتواجدة في غرب ليبيا، خاصة تنظيم أنصار الشيعة هناك المتمركز في مدينة «درنة» وأجوارها، وإعداده كمحطة للانقلاب لتفتيت ليبيا.

أمَّا فيما يتعلق بالملف التونسي، فإن الأوضاع في تونس مغايرة، في ظل تراجع حزب النهضة خطوةً للخلف، وتفادي الصدام مع الليبراليين في تونس حتى لا يتكرر مرة أخرى ما حدث في مصر، والعودة مرة أخرى للمشهد السياسي.

انتهى اللقاء عقب ذلك، وتولَّى كل مسؤول من مسؤولي الملفات تنفيذ التوجيهات الصادرة، كلٌّ فيما يخصُّه.

معسكر الفاروق (ريف دمشق– سوريا):

تمر الأيام، يوم تلو الآخر، والحالة داخل معسكر الفاروق تزداد سوءًا، والحالة النفسية للمقاتلين تسوء، والهمم تهبط، خصوصًا في ظل حدوث احتكاكات عسكرية ما بين جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية «داعش».

تطرَّق أبو دجانة للحديث مع الفيومي عن آخر ما وصلت اليه الأوضاع الحالية داخل صفوف الجبهة...

الفيومي: الأوضاع متردية... وهناك ضَعْفٌ في الإمدادات التي كانت تصل إلينا، وهناك خسائر كبيرة في العتاد وسبل المعيشة، فأصبحنا نقاتل جبهات مختلفة؛ الجيش السوري من ناحية، والدولة الإسلامية من ناحية أخرى... بالإضافة لعدم وصول مقاتلين جدد للانضمام تحت لواء الجبهة.

أبو دجانة: وما موقف القيادة العامة لتنظيم القاعدة تجاه ما يحدث؟

الفيومي: تقابلت مع «أبو جندل المصري» منذ أيام، وحدثني بوجود بوادر مشاكل مع قيادة القاعدة؛ وذلك لعدم قيام قيادة التنظيم باتخاذ موقف حازم ضدَّ البغدادي وجماعته.

وأثناء حديثهما دخل عليهما أبو عبد الله المدرب، يبدو على وجهه الانزعاج، ووجَّه حديثه قاصِدًا الفيومي:

هل سمعتم بما حدث؟ أعلن محمد الجولاني انفصاله عن تنظيم القاعدة والعمل تحت مسمَّى جبهة تحرير الشام، وأن الجبهة لا تتبع أي جهة خارجية.

أبو دجانة: وما الهدف من هذا؟!

المدرب: إنه يهدف إلى تقريب المسافات مع الفصائل المجاهدة في الشام، وهذا واضح جدًّا بعد توجيههم لدعمهم الكامل حاليا لتنظيم الدولة الإسلامية من سلاح وأفراد وأموال... هناك حالة من التخبُّط في القرارات... لا بُدَّ من دراسة الأوضاع مع الجولاني؛ لأن ما يحدث هو بداية النهاية بالنسبة لنا.

بعدها ترك أبو دجانة كلًّا من الفيومي والمدرب وتوجَّه إلى مكان إقامته، فوجد خطاب (مسؤول مجموعته الأولى)، قال له خطاب بصوت منخفض: أريد أن أتقابل معك في المساء، ويكون بصحبتك أبو صلاح وأبو أمل وباقي المجموعة التي تتبعنا؛ للتشاور حول الأحداث، وأريد منك ألَّا يعلم أي شخص آخر بأمر لقائنا، سوى المجموعة فقط.

في المساء تجمَّعت مجموعة خطاب القديمة، وتحدث معهم خطاب عن حالة التخبط التي تجتاح الجبهة، والصدام المستمر مع كافة القبائل، وعدم سيطرة القاعدة على زمام الأمور، كما أضاف خطاب بأنه تلقى تكليفًا من «أبو يحيى» (مسؤول الملف السوري والدعم)، بالانسحاب من جبهة النصرة والانضمام إلى الدولة الإسلامية في العراق والشام، ومحاولة استمالة عدد من عناصر الجبهة للانضمام أيضًا إلى الدولة الإسلامية، وأنهم اتفقوا مع الدولة الإسلامية على ذلك، وبأنه سيكون لنا مواقع جيدة في صفوف الدولة، ولكن مع ضرورة توخِّي الحيطة والحذر أثناء الخروج؛ خشية حدوث مشاكل مع «أبو محمد الجولاني» بسبب انسحابنا... وأنا أرى أن ما يحدث هو نهاية لتنظيم القاعدة، وهناك دولة جديدة بالمعنى الصحيح لإعادة دولة الخلافة على منهج النبوَّة.

أبدى كافة الحاضرين، وعلى رأسهم أبو دجانة، الموافقة على ذلك، وقرأوا فاتحة الكتاب على هذا، واتفقوا على الهروب فجر اليوم التالي.

الدولة الإسلامية في العراق والشام:

بات أبو دجانة ليلته في تفكير عميق عن حياته الجديدة وانضمامه للدولة الإسلامية، ويعيد شريط حياته، وتذكر أمَّه وأباه وإخوته، وحبيبته، أحس بافتقاده الكبير لهم، ولكن عزمه على الجهاد كان هو ما يسيطر على أفكاره بشكل أكبر، ودعا ربه أن ينال الشهادة قريبًا.

وفي منتصف الليل همَّ من فراشه بهدوء، محاولًا ألَّا يشعر به أحد، ولكن إصابة قدمه جعلته يحدث بعض الجلبة، فشعر الفيومي بحركته، فانتفض من نومه ووجده غير موجود بفراشه، فمسح بنظره المكان، فوجده يجمع أغراضه في حقيبة...

الفيومي: ماذا تفعل؟ إلى أين أنت ذاهب يا «أبو دجانة»؟

أبو دجانة: أرجوك... اخفض صوتك... يعلم الله أنني أتَّخذك أخًا عزيزًا؛ لهذا فإنني لن أخفي عليك سري، في الحقيقة الوضع هنا غير مستقر، وهناك حالة من التخبُّط في أوساط الجبهة، فاتفقنا -نحن مجموعة خطاب- على ترك الجبهة والانضمام إلى صفوف الدولة الإسلامية.

الفيومي: يا بُنيَّ اصبر، لعل الله يُحْدِثُ بعد ذلك أمرًا.

أبو دجانة: لا أظن ذلك، وبالنسبة لي أنا شخصيًّا سأظل داخل الجبهة إداريًّا، وهو ما لا أرغبه، كان كل حلمي أن أجاهد في سبيل الله، سأذهب يا أخي، لعلِّي أجد هناك مقصدي... لماذا يا أخي لا تفكر بالذهاب معنا؟!

الفيومي: القرار صعب ويحتاج إلى تفكير عميق؛ فالوضع مختلف بالنسبة لي؛ فقد أفنيت سِتَّ سنوات من عمري في الجهاد تحت لواء تنظيم القاعدة، فكيف لي أن أغيِّر موقفي بين يوم وليلة، المهم الآن يا أخي أن تحافظ على نفسك؛ فأنت مُقبلٌ على جماعة جديدة وفكر جديد.

أبو دجانة: الله المستعان... لن أوصيك بأن يظل هذا الأمر سِرًّا بيننا... لا أحد يعلمه غيرك... أستودعك الله.

تعانق الاثنان، وتركه أبو دجانة، وقد حان الوقت قبيل صلاة الفجر بساعة، قام عناصر مجموعة خطاب بالهروب خلسة من معسكر «الفاروق»، تاركين أسلحتهم الثقيلة، واكتفوا ببعض الأسلحة الخفيفة، متسترين بما بقي من الليل من ظلام؛ خشيه شعور حراس المعسكر بهم وافتضاح أمرهم، وبالفعل تمكَّنوا من الهروب، وكانت هناك سياراتان تنتظرانهم، قد أعدَّهما لهم أبو يحيى، مسؤول الملف السوري في تركيا، لتوصيلهم إلى منطقة «دير الزور» شمال سوريا.

اتجهت السيارتان إلى معاقل تنظيم الدولة الإسلامية، استغرقت المسافة مده خمس ساعات، وكان متواجدًا في إحداها شخص ملثَّمٌ، كان دليل تلك المجموعة، إلى أن وصلوا للمكان السابق ذكره في منطقة بها تسمَّى «المحطة»، وقام «أبو جبل» مسؤول المحطة باستقبالهم، كان يتحدث اللهجة العراقية، وتعامل معهم بغلظة وشدة وجفاء، فقال:

- أنتم الآن في رحاب دولة الخلافة الإسلامية... هناك فارق كبير بين التنظيمات التي كنتم تعملون تحت لوائها وبين الدولة الإسلامية... كالفارق بين السماء والأرض.

وقام بنقلهم إلى أماكن الإعاشة التي سوف يقطنون بها، وهي عبارة عن مجموعة من المنازل تركها أهلها بسبب الحرب، واستولى عليها التنظيم.

في صباح اليوم التالي أرسل اليهم أبو جبل سيارتين لنقلهم إلى أحد المجالس العربية (مَضْيَفَة)، كان عددهم يبلغ 13 شخصًا، وعند الوصول أبلغهم أبو جبل بأن هناك أحد المسؤولين الأمنيين سيجلس معهم؛ كلٌّ على حدة؛ لفحصهم، وهنا انتفض خطاب من مكانه معترضًا على ذلك، وقرَّر أنه مشهود لهم بالجهاد، سواء فرادى أو تحت لواء الجبهة.

أبو جبل: ماذا بك؟ هذا نظام الدولة، والأمن ليس به استثناءات...أُذَكِّرُكُم جميعًا بحديثي لكم بالأمس... هذه دولة وليست تنظيمًا...

حضر المسؤول الأمني، كان يُدعَى «أبو عادل»، كان يتحدَّث باللهجة السورية، وفي بدايه الجلسة، وبعد الترحاب بهم سألهم عن كيفية التحاقهم بحقول الجهاد، وهل كان الانضمام بناء عن تزكية من أحد المجهادين أم من خلال أصدقائهم في تركيا...

وهنا استعرض كلٌّ منهم قصة وصوله، فاستشعر أبو عادل بأن المجموعه تأتمر بأوامر خطاب، فطلب منه عقد لقاء خاص بينهما بعد الانتهاء من لقاء باقي أفراد مجموعته. بعد انتهاء جلستهم اجتمع أبو عادل بخطاب بجلسة على انفراد، قال له: أنت الآن في رحاب الدولة الإسلامية مثلك مثل أي مقاتل، إن لم تكن أقلَّ... فلا سُلطانَ لكَ على أحدٍ، ولا أوامرَ تصدر سوى من قيادتنا نحن، أرجو أن تعي هذا الأمر جيِّدًا إن كنتَ تريد أن تستكمل معنا الطريق، ومعلوماتي بأنك لم يَعُدْ لك خيار آخر... أليس كذلكَ يا أخي الكريم؟

امتثل خطَّاب لكلام المسؤول الأمني، شعر بأنه مجبر على اتباع تلك التعليمات، فليس أمامه أي مجال دون ذلك.

عاد المسؤول الأمني للمجموعة، وكرَّر الترحيب بهم، ولكن هذه المره كان ترحابًا بالانضمام إلى صفوف الدولة الإسلامية التي سوف تمتدُّ للدنيا كلها، من شرقها إلى غربها، وطالبهم بالبيعة للخليفة «أبو بكر البغدادي». أبدت المجموعة سعادتها البالغة بذلك، فتلا عليهم أبو عادل نصَّ البيعة قائلًا: «أبايع أمير المؤمنين إبراهيم على محمد البدري القرشي، أبو بكر البغدادي، على السمع والطاعة، في المنشط والمكْرَه، والعُسر واليُسر، وألَّا أنازع الأمرَ أهلَه إلَّا أن نرى كُفْرًا بواحًا، وأن نقول الحق حيثما كُنَّا، ولا نخشى في الله لومة لائم»... وأخذ الحاضرون يردِّدون خلفه البيعة.

استعرض أبو جبل مسؤول المحطة للمبايعين الجُدُد هيكلَ الدولة الإسلامية، وهو على النحو التالي:

الخليفه أبو بكر البغدادي: أمير المؤمنين.

النائب أبو مسلم التركماني: نائب أمير المؤمنين.

الوزراء:

أبو عبد الرحمن البيلاوي: المسؤول العسكري.

أبو القاسم: مسؤول استقبال المقاتلين والانغماسيين.

أبو هاجر العساني: المسؤول المالي في الدولة.

أبو محمد: مسؤول السجناء والأسرى.

أبو علي: المسؤول الأمني العام في الدولة.

أبو عبد القادر: المسؤول الإداري العام في الدولة.

مجلس الحرب:

أبو كفاح: مسؤول التفخيخ.

أبو سجى: مسؤول الشؤون الاجتماعية في الدولة، من رواتب وإعانات.

أبو شيماء: مسؤول مخازن السلاح في الدولة.

المحافظون:

أبو ميرة: محافظ بغداد.

أبو مهند: محافظ الأنبار.

أبو جوناس: محافظ منطقة الحدود العراقية– السورية.

أبو فاطمة الجحشي: محافظ القوات الأوسط.

أبو فاطمة الحبوري: محافظ كركوك.

أبو نبيل: محافظ منطقة صلاح الدين.

أبد أبو دجانة ورفاقه اندهاشهم لما سمعوه، ووجَّه حديثه لـ «أبو جبل» وهو في غاية سعادته لما سمعه: إنها دولة بالمعنى الحقيقي، وليست تنظيمًا صغيرًا...

أبو جبل: وهذا ما كنت أقوله لكم منذ وصولكم، وقد قمنا بتوزيعكم للعمل في وزارات ودواوين الدولة الإسلامية، كلٌّ حسب قدراته، والتوزيع كالآتي:

خطاب: الديوان العسكري، تحت إمرة «أبو عبد الرحمن البيلاوي».

أبو دجانة: ديوان السجناء والأسرى، تحت إمرة «أبو محمد».

أبو أمل: ديوان المالية، تحت إمرة «أبو هاجر العساني».

أبو صلاح المصري: ديوان العسس (الشرطة)، تحت إمرة «أبو القاسم».

أبدى أبو دجانة امتعاضه، وأنه يرغب في الانضمام لصفوف المقاتلين، وكذا بعض المرافقين له، فقال لهم أبو جبل:

لقد أقسمتم على السمع والطاعة... فلا مجال للحديث في ذلك، سوف تقضون ليلتكم مثل أمس، وغدًا سوف يتم توزيعكم على أعمالكم في صفوف الدولة الإسلامية.

انصرف خطاب ورفاقه، وكلٌّ منهم يفكر فيما هو مقبلٌ عليه: هل هذا جهاد في سبيل الله، أم أنهم مجرد مساعدين لمن يجاهد ومَن يلحق بالشهادة؟ هل هم مُصنَّفون درجة ثانية؟!

تحدَّث أبو صلاح المصري مع كل من «أبو دجانة» و «أبو أمل»:

ألم تلاحظوا شيئًا؟! كافة قادة الدولة من العراقيين والسوريين، ولا يوجد مصري واحد... أهذا تمييز؟

فقطع أبو أمل حديثه ونظر إليه بغضب: دعونا نهتم بأعمالنا فقط، الوضع هنا يختلف عمَّا سبق...

أبو صلاح المصري: الله المستعان...

أبو دجانة: يبدو أنني سأظل هكذا، لا أُسمن ولا أغني من جوع... يا ليتني كنت متُّ بالتدريب بدلًا من عجزي.

أبو صلاح: أستغفر الله، بِنِيَّاتِكُم تُرْزَقون... الله يعلم ما بداخلك، وهذا يكفيك.

الدعم المالي:

التحق أبو أمل بالعمل بديوان المالية، الذي يتولَّاه أبو صلاح السوري، كانت مسألة تمويل الدولة تشغل باله منذ انضمامه لها، خاصة وأنه يلاحظ حجم الأموال الكبير الذي ينفقونه على مختلف المناحي، لكنه كان يتجنَّب الحديث عن مثل تلك الأمور مع زملائه بالعمل؛ تحسُّبًا لأن يشكُّوا في أمره، لكن بمرور الأيام توطَّدت العلاقة بينه وبينهم، فانتهز فرصة وجوده منفردًا مع «أبو صلاح السوري» ذات يوم، وسأله عن مصادر تمويل الدولة... أجابه أبو صلاح قائلًا:

للموارد أكثر من مصدر، لكن المصدر الأهم لنا هو مصافي البترول، فجنود الخلافة -بارك الله فيهم- استطاعوا السيطرة على مصافي البترول في حمص، بالإضافة إلى مصافي البترول في العراق.

أبو أمل: سبق لي أن عملت بشركة «بلاعيم» في مصر، وهي من أقدم شركات البترول في الشرق الأوسط.

أبو صلاح السوري: ألم تسأل نفسك لماذا تم اختيارك في هذا الديوان تحديدًا؟ نحن نضع الرجل المناسب في المكان المناسب، يوجد لدينا بعض شاحنات البترول، سوف تشارك في تجهيزها خلال أيام، وسترافقها إلى الوجهة التي سنرسلها إليها.

عاد أبو أمل إلى مقر إقامته بعد انتهاء حديثه مع «أبو صلاح السوري»، وتقابل مع «أبو دجانة»، وقصَّ عليه ما حدث، وبأنه سوف يسافر خلال أيام لمأمورية خاصة بنقل النفط التابع للدولة إلى مكان لا يعلم عنه شيئًا.

أبو دجانة: عظيم جدًّا... لقد عدت إلى عملك الأصلي في البترول إذًا...

أبو أمل: نعم عُدتُ... وماذا عنك يا أخي...كيف يسير الأمر معك في عملك؟

أبو دجانة: مازلت لا أعلم ماهي طبيعة عملي تحديدًا بديوان السجناء، وحتى الآن لم أقابل المسؤول الخاص بي، أعلم أن إصابتي هي السبب الرئيسي في وضعي في هذا الديوان... حسبي الله ونعم الوكيل في من تسبَّب في عدم معالجتي بطريقة صحيحة... أصبحت مثلما يقولون في مصر كخيل الحكومة... ليست لي فائدة.

أبو أمل: هَوِّن عليك يا أخي... وتمهَّل لتعرف طبيعة عملك، فربما يكون لك عمل مفيد ومؤثِّر تقوم به، وكله أوَّلًا وأخيرًا عمل .

أبو دجانة: أنت تريد وأنا أريد... ويفعل الله ما يريد... الله المستعان.

بات الرفيقان ليلتهما داخل السكن، وأقاموا صلاة الفجر، وعاودوا نومهم حتى الساعة التاسعة صباحًا، وعندما استيقظوا عاود أبو أمل التحدُّث معه قائِلًا: نسيت شيئًا ليلة أمس لم أخبرك به، وهي أنه سيتم صرف رواتب شهرية تتراوح بين 300 و500 دولار... ما شاء الله؛ يتم التعامل بالدولار هنا لحين سكِّ عملة خاصة بالدولة إن شاء الله.

أبو دجانة: هذا رائع... ومتى ستسافر في تلك العملية يا أخي؟

أبو أمل: لم يحددوا موعدًا معيَّنًا، ولكن ربما خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر.

انطلق أبو دجانة إلى ديوان السجناء والأسرى، كان المكان عبارة عن مبنى كبير على أطراف دير الزور، وملحق به مساحة كبيرة من الأرض الفضاء، ومحاط بسور ضخم، كان المكان في السابق مزرعةً تابعةً لأحد الأثرياء قبل اندلا ع الأحداث، وتم تحويله إلى سجن الولاية.

وبمجرد وصول «أبو دجانة»، طلب مقابلة «أبو محمد» مسؤول الديوان، وعند مقابلته أبدى له أبو محمد سعادته به لانضمامه معه للعمل بالديوان، وطلب منه قبل أن يبدأ عمله أن يقوم بتفقُّد السجون والعاملين بها، للوقوف على كل التفاصيل بها، كما أوكل إليه عمل بيان حصري على أرض الواقع لكل المسجونين والأسرى؛ رجالًا ونساءً، بديوان السجناء والأسرى بالكامل.

بدأ أبو دجانة بتنفيذ الأوامر، وأثناء تفقُّده قابل شخصًا يُدْعَى قاسم، وهو مسؤول سجن الرجال، وبصحبته سيدة تُدْعَى «أم علي»، وعرف أنها مسؤولة السجن النسائي، وقاموا بالتعرُّف على بعضهم البعض، وقاموا بالترحيب به، وبدأوا يشرحون له وضع السجن وتفاصيله ومشتملاته، وطبيعة العمل به.

بدأ أبو دجانة بإعداد حصر بأعداد كافة المسجونين والأسرى داخل السجن، والتُّهَم المنسوبة لهم، وترتيب مواعيد عرضهم على ديوان القضاء والمظالم، وأثناء المراجعة استوقفه اسم وتهمة مسجون يُدْعَى «أحمد التونسي»، كانت تهمته: مرتد، ويقبع في الزنزانة رقم (7)، فتوجَّه إلى هذا المسجون وفتح زنزانته وسأله: مَن أنت؟ وما هي تهمتك؟

أحمد التونسي: مَن تكون أنت؟ ومن أين؟

أبو دجانة :اسمي أبو دجانة، مسؤول بالسجن هنا، من مصر.

تبسَّم التونسي قائلًا: أجمل أيام حياتي قضيتها بمصر، حيث إنني جئت إلى مصر لتعلُّم العلوم الشرعية، وأقمت بالحي العاشر بمدينة نصر، وكانت لغتي العربية ضعيفة؛ فبدأت أتردَّد على مركز الإبانة لتعلُّم اللغة العربية، ورأيت في مصر ما لم أراه من شعب في حياتي؛ فأنتم شعب طيب وفيكم خصال جميلة، وهناك تعرَّفت على بعض الإخوة من دولة روسيا وكازاخستان وطاجيكستان، ومكثت في مصر لمدة أربع سنوات.

أبو دجانة: ماذا حدث لك بعد ذلك؟ وما سبب حضورك إلى هنا؟ وكيف؟ وما السبب في إيداعك بالسجن هنا؟ وما هذه التهمة التي اتهموك بها؟

التونسي: الله المستعان...

وتوقف عن الحديث معه.

لم يعد التونسي يرد على أسئلة «أبو دجانة» في الأيام التالية، التي كان يدخل عليه فيها، كان يكرِّر عليه نفس الأسئلة، والتونسي لا يرد... حتى اطمأنَّ قلبه لـ «أبو دجانة»، وفي يوم أجاب التونسي...

- مع اندلاع الثورة في مصر وعدم استقرار الأحوال، كنت من أوائل الإخوة الذين انضموا لصفوف الجهاد تحت لواء الدولة الإسلامية، وبايعت «أبو بكر البغدادي»، شاركت في عمليات كثيرة ضد النظام والروافض، حتى أصبحت أميرَ مجموعة، وكان لي أخ صديق من طاجيكستان قد زاملته من القاهرة، وسافر معي إلى سوريا مشاركًا معي في الجهاد، وحدثت بينه وبين أحد قيادات التنظيم مشادَّة كلامية، قام على إثرها هذا القيادي بإطلاق النار عليه أمام أعيننا... قَتَلَ صديقي بِدَمٍ بارد لمجرَّد أنه عارض موقفًا ما، ولم يُقَمْ الحدُّ على هذا القيادي، ولم يحارب؛ لأنهم اتهموا صديقي بأنه مرتد. خلال تلك الفترة أُصِبْتُ بحالة من الحزن الشديد على فراقه، وبدأت أتساءل: أهو شهيد أم قُتِلَ غدرًا؟ فكانت الإجابة كاذبة ومضلِّلة، قالوا إنه مرتد؛ فيجوز قتله ولا يَمُتُّ بِصِلَةٍ للشهادة. بعد عدة أيام، جاء إليَّ أبو مسلم التركماني، نائب الخليفة شخصيًّا، وحدَّثني بأن كل مرحلة بها أخطاء، وبأن صديقي المقتول خالَفَ رُكْنًا من أركان البيعة، وهي السمع والطاعة، وأقنعني بأنه لا بُدَّ من التفكير فيما هو قادم، وعرض عليَّ أن أتزوج، وبالفعل بدأوا يعرضون عليَّ النساء السبايا من فتيات صغيرات وأرامل، لكن أعجبتني أختٌ بريطانيةٌ تركت أهلها وهاجرت إلى سوريا للجهاد، فتعرَّفت عليها، وأحببتها حبًّا شديدًا، وعرضت عليهم الزواج بها، فباركوا هذا الزواج، وأقاموا لنا فرحًا إسلاميًّا، ودخلت بها، كنَّا نعيش في غاية السعادة، ولم أَرَ منها سوى كل شيء طيب، فكانت نِعْمَ الزوجة ونِعْم الطاعة العمياء لزوجها. وبعد فترة اكتشفت أن ما يحدث هنا بالدولة الإسلامية هو مسرحية هزلية، وبدأت أفكر في الهروب أنا وزوجتي وأعود بها إلى لندن، ونعيش حياة طبيعية، خاصَّة مع صعوبة الحياة هنا، وكانت توافقني زوجتي في بادئ الأمر واستحسنت الفكرة، ولكنها كانت تخشى علينا من العقاب، وما كنَّا ندري كيف يتسنَّى لنا الهروب من هنا. في أحد الأيام زارني أبو عبد الرحمن، المسؤول العسكري العام للدولة، فشاهد زوجتي، ولم يستطِعْ أن يخفي انبهاره بجمالها، ولكنني كنت لا أدري ما يدور في عقله، فتعاملت معه بحسن النية، وبعد فترة بدأت زوجتي في استبعاد فكرة الهروب، وأثارت الخلافات بيني وبينها لإصراري على الهروب ورفضها العودة إلى لندن، بحجة أنها تريد أن تكمل مسيرة الجهاد، حتى علمت أن «أبو عبد الرحمن» أرسل إليها بعض النسوة للتأثير عليها، وعلى عقلها بأن تميل كل الميل ناحيته، ففضحت أمري لهم ونِيَّتي

للهروب، وفوجئت بقيامهم بإلقاء القبض عليَّ بتهمة الرِّدَّة، وأودعوني السجن، وحَكَمَ القاضي بتطليقها مني، وبعد أيام قلائل علمت أنها تزوَّجَت من «أبو عبد الرحمن» فلا شهور عدة، ولا أي شيء من شرع أو دين، فقد زَجَّ بي المسؤول العسكري في السجن طمعًا في زوجتي... إنني لا أخشى الموت، هذا قدري الذي لا ملجأ ولا مهرب منه؛ لأني أؤمن بأن ما يحدث لي الآن هو عقاب رب العالمين لي على ما اقترفته من قتل وذبح وتشريد لضحايا ليس لهم ذنب، وأنا كنت واهمًا بأن هذا جهاد في سبيل الله وفي بناء الخلافة الإسلامية، لكنني أنصحك نصيحة لوجه الله، لعلَّها تكون سببًا في غفران ربي لي خطاياي، فلعلِّي لا أراك مرة أخرى... إنني أراك شخصًا طيبًا، وصالحًا: إن كنت تتوهَّم توهُّمي الأول بأن ما نفعله هو تقرُّبٌ إلى الله فأنت مخطئ، ولا بد أن تعود إلى رشدك، وإن أتيحت لك الفرصة للفرار فلا تتردد ولو للحظة.

أثناء اندهاش «أبو دجانة» بما يسمعه، دخل عليه قاسم، وقام بنهر «أبو دجانة» قائلًا:

كيف تجلس مع مُرتدٍّ؟ لا تسمع منه شيئًا؛ فإنه مارق، وسوف يتم تنفيذ حكم المرتد عليه...

فردَّ أبو دجانة بأنه يقوم بحصر السجن، وأنه لم يستمع إليه في شيء.

خرج أبو دجانة وحديث التونسي مازال عالِقًا في أذنه، وجلس يسأل نفسه: هل الحب يصنع ذلك؟ فلولا وجود زوجته ما أُودِعَ السجن، وما وُصِفَ بالمرتد، وهو لولا هجر حبيبته له وتفضيل آخر عليه ما وُجِدَ هو الآخر هنا... وأخذ يردِّد: «لعنة الله على حب النساء». غير أن حديث التونسي عن الفرار لم يقنع «أبو دجانة»، كان متيقنًا أن التونسي يقول ذلك لأنه حُكِمَ عليه من قِبَل الدولة الإسلامية.

استعاذ أبو دجانة من الشيطان، وعكف على عمله واستكمل حصر المسجونين والأسرى، ولكنه وجد عددًا كبيرًا من المسجونين سوريين من مختلف الديانات والأعراق، فسأل نفسه: ما هذا الكم؟ ولماذا معظمهم سوريون؟

عاد أبو دجانة إلى منزله الذي كان يقطن به، وكان المنزل كئيبًا؛ لعدم تواجد صديقه «أبو أمل» الذي كان قد غادر من أجل مهمته غير المعلوم وجهتها، وعند استعداده للنوم دخل عليه شاب مصري شكله مألوف له، فلم يكن وجهه غريبًا لـ«أبو دجانة»، فقال له:

مَن أنت ؟ أنا شاهدتك قبل ذلك...

فردَّ الشاب: أنا أبو سفيان المصري.

أبو دجانة: تذكَّرْتُكَ... أنت شريف يكن... أنت الذي كانت أخبارك تشعل «الفيس بوك» الفترة الماضية، واتهموا الحكومة وقتها باختفائك قسريًّا، وروَّجَت منظمات حقوق الإنسان لذلك... أليس كذلك؟!

أبو سفيان المصري: نعم... أنا هو، ولكني اختفيت بمحض إرادتي... وها أنا في دولة الخلافة.

لم يستمر حديثهما طويلًا لشعور «أبو دجانة» بأنه شاب غريب الأطوار، لديه مشاكل نفسية. في صباح اليوم التالي عاد أبو أمل من رحلته، وكان منهكَ القوى، فسأله صديقه: أين أمضيتَ ليلتك البارحة؟

أبو أمل: سافرنا لمسافة طويلة ومعنا عدد من حاملات البترول، وصلنا إلى الحدود التركية، عند منطقة عفرين بشمال سوريا، وتم إدخال تلك الشاحنات إلى تركيا.

أبو دجانة: وكيف عَبَرَت الحدود؟

أبو أمل: كان معهم مسؤول كبير في الحكومة التركية، قام بتسهيل كافة الإجراءات، وقاموا بتسليمنا شحنات أسلحة للمجاهدين... نظام مقايضة النفط مقابل السلاح وبعض الأموال.

ترك أبو دجانة «أبو أمل» حتى يتمكَّن من النوم والراحة. كانت الأفكار تتنازع رأسه عمَّا يحدث حوله، كأنه في حلم لا يعرف حقيقته...

سوق الرقيق:

كان أبو دجانة متواجدًا بعمله بديوان السجناء والأسرى ومستمرًّا في إعداد حصر المودَعين بالسجون، وجاء الدور على الأسيرات، فتقابل أبو دجانة مع «أم علي» مسؤولتهن، وهي أرملة لإحدى كوادر التنظيم عراقية الجنسية وتبلغ من العمر ما يقارب الخمسين عامًا، وهي امرأة غليظة القلب، جاحظة العينين، وطلب منها مساعدته في إعداد الحصر المطلوب منه على أرض الواقع، انتقلت «أم علي» معه إلى مكان احتجاز الأسيرات، فوجدهنَّ مودعات داخل إحدى الغرف الكبيرة، قالت له السيدة إن النساء المسجونات من «الأيزيديات»، قالت إنهن سبايا حرب تمَّ أسرهن عقب العمليات التي قام بها التنظيم، كما تلاحظ لـ «أبو دجانة» وجود عدد كبير من تلك النساء معهن أطفال رُضَّع لم يتجاوز أعمارهم العام، وكذا عدد آخر من النساء الحوامل، فتساءل أبو دجانة قائِلًا: ومن أين لهنَّ بهؤلاء الأطفال؟

أم علي: هؤلاء الأطفال أبناء المقاتلين، لكن معظمهم استشهدوا في عمليات، والبعض الآخر تنازل عنهم نظير المال بعد الحمل بهم.

أبو دجانة: وما مصير هؤلاء الأطفال، وكيف يتم التعامل معهم؟

أم علي: ليس هناك خطة معيَّنة، ولكن من المؤكَّد أن «أبو محمد» لديه خطة مستقبلية، خصوصًا أن أمهاتهم إماء، وآباءهم غير موجودين.

أبو دجانة: وماذا عن أسمائهم، ولمن يُنْسَبُ هؤلاء الأطفال؟

لم تُبْدِ أمُّ علي إجابة واضحة، أو تعطي تصوُّرًا واضحًا عن كيفية التعامل مع المشكلة.

شاهد أبو دجانة حالة التردِّي الصحي الذي تعانيه تلك النسوة بسبب كثافة الأعداد وضيق المكان، سواء لهن أو لأبنائهن، فوجَّه حديثه لأم علي قائلًا: لا بُدَّ من العرض على «أبو محمد» لتوفير مكان أكبر، أو مكانين، بنفس المساحة على الأقل، ليناسب أعدادهن الكبيرة...

أم علي: أنا أرى أن نعرضهن في سوق الرقيق الذي يقام مرة كلَّ شهر...

أبو دجانة: أَلَمْ يُحَرِّمِ الإسلامُ الرِّقَّ؟!

أم علي: إنهن مِلْكُ يمين، وهُنَّ هنا للتمتع فقط لا غير، بالإضافة إلى أن بيعهن سيجلب أموالًا تودَع في بيت المال، كما يقوم المشتري بالتكفُّل بنفقاتهنَّ... فيوفِّر علينا ما يتطلبه وجودهنَّ في السجن.

أحسَّ أبو دجانة بصعوبة الموقف، ولكنه ظلَّ مستحسنًا فكرة الاستمرار في عمله، في انتظار إيحاد آلية أخرى لمعالجة الموقف.

القاهرة . مدينة نصر:

تلقَّى الدكتور محمد ناجي اتصالًا من فاتح أربكان عبر هاتفه الثريا أفاد فيه بقيام تركيا بالتنسيق مع حكومة البشير في السودان باستقبال عدد من العناصر التي تم اختيارها لمرحلة الحسم، ويكون المسؤول عن تلك المجموعة «الطوبجي»، وستتوفَّر لهم كل احتياجاتهم من أماكن للتدريب ومسكن وأماكن للمعيشة...

أربكان: ولكن كيف يمكن تهريبهم؟

د. ناجي: سيتم تهريب تلك العناصر على مجموعات، بواسطة مهرِّبين عبر الصحراء، وصولًا إلى الحدود المصرية السودانية بالقرب من ميناء قسطل، بالإضافة إلى أننا سنستغل العناصر غير المرصودة أمنيًّا في التقدُّم للدراسة في جامعة الخرطوم، ومن ثمَ السفر بطريقة شرعية.

د. ناجي: وماذا عن مشروعيَّة إقامتهم في السودان؟

أربكان: لا يمكن الآن تقنين أوضاعهم في السودان، حتى لا تكون ذريعة للحكومة المصرية الحالية للمطالبة بتسليمهم في ظلِّ الاتفاقيات الدبلوماسية السابقة؛ ممَّا يضع الحكومة السودانية في حرج أمامهم.

أم درمان– السودان:

وصل الطوبجي ومجموعته إلى أم درمان، التي تعدُّ واحدة من أكبر المدن السودانية، وكان يرافقهم شخصٌ سوداني يُدْعَى عثمان، قام بتسكينه هو ومن معه في عمارة تم استئجارها كاملة لإقامه وتسكين مجموعة الحسم، كما أطلق عليها فاتح أربكان، وقام عثمان بتوفير كل مستلزماتهم من مأكل ومشرب.

وبعد عدة أيام، قام عثمان السوداني بنقلهم إلى مزرعة على أطراف مدينة أم درمان، وهي مساحة كبيرة من الأرض الزراعية المحاطة بأشجار كثيفة، وملحق بها منزل، وأبلغهم بأن هذا المكان هو معسكر التدريب.

وبالفعل قام الطوبجي بتدريب مجموعة الحسم، والعمل على رفع الكفاءة البدنية لهم، والتدريب على الرماية بجميع أوضاعها، وكان بصحبته مدرب سوداني لرفع كفاءة الرمي بالعديد من الأسلحة؛ لكونه على دراية بأعمال القتال، فقد كان ضابطًا سابقًا بالجيش.

ظلَّت مجموعة الحسم، البالغ عددهم 17 متدربًا، في أعمال التدريبات البدنية والقتالية في انتظار التكليفات التي سوف تصدر إليهم...

الأمن الوطني– مدينة نصر:

دخل النقيب إبراهيم شاكر على المقدِّم أحمد الرفاعي بمكتبه وقال له:

هناك معلومة قيِّمة إن صدقت سيكون هذا صيدًا ثمينًا يا افندم...

الرفاعي: صيد ثمين، ما هو؟

شاكر: لا أعلم، هناك رصد لسيارة ماركة فيات 131، زرقاء اللون، متروكة في أحد الشوارع بمدينة نصر بالقرب من حي السفارات، لا تتحرَّك منذ عدة شهور، لكن يتردَّد عليها شخصان، الأول يقوم بفتحها والجلوس بداخلها مدة لا تتعدَّى 5 دقائق ويغادرها، ويأتي شخص آخر في نفس اليوم أو اليوم الذي يليه يقوم بنفس العمل بنفس الطريقة، ونفس المدة.

الرفاعي: ما هو مصدر المعلومة؟

شاكر: شخص يعمل كوافير رجالي يجلس دائمًا أمام محله، وقد لفت هذا الأمر انتباهه، فقام بالاتصال بأرقام البلاغات الخاصة بالقطاع، في إطار تفاعل الشعب مع ما يحدث من جرائم يقوم بها الإخوان.

الرفاعي: إذًا... المعلومة تحتمل شِقَّيْن: إما أن تكون سيارة عادية تركها أصحابها لدواعي السفر مثلًا، ويأتي أقاربهم لتشغيل السيارة خشية فساد البطارية، أو أنه صيد ثمين فعلًا يا بطل... خاصة مع تواجد معلومات تفيد تواجد أحد قيادات التنظيم في نفس المنطقة؛ لذا لا بُدَّ أن نعرض الأمر على رئاسة القطاع لتكليف مجموعة لمراقبة تلك السيارة.

بالفعل تم إخطار رئاسة القطاع، وصدرت الأوامر لتنفيذ المتابعة والمراقبة، والتي أكدت ما قاله الكوافير، والتُقِطَت صور للمتردِّد على السيارة أثناء جلوسه ونزوله من السيارة، كما تم تتبعه حتى وصوله لشقة في عقار بالقرب من مكان تواجد السيارة، وبعرض الصور على المقدم الرفاعي انفرجت أساريره قائلًا:

- الله... الله ... هذا هو الشغل، حقًّا صيد ثمين، إنه الدكتور محمد ناجي، عضو مكتب الإرشاد، وكان أحد المحركين لاعتصام «رابعة العدوية»، وذُكِرَ اسمه في التحقيقات التي تم إجراؤها مع بعض المتهمين في الاعتصام... فلننتظر حلول الليل ونُداهِم الشقة التي تم تحديدها.

بالفعل تم التنسيق مع قوات الأمن المركزي لإعداد مأمورية لضبط الدكتور ناجي، وقد نوَّه رئيس القطاع بالتأكيد على الحذر في التعامل؛ خشية أن يكون مسلَّحًا، مرجِّحًا أن يكون كذلك...

وبدأ الاستعداد لاستهداف الشقة لتنفيذ عملية «الصيد الثمين»، كما أطلق عليها الضباط.

الصيد الثمين:

تـم إعـداد مأموريـة قوامهـا قـوة مـن القـوات الخاصـة وفريـق مـن قـوات مباحـث القسـم الـذي تقـع الشـقة في نطـاق عملـه، وقوات من الأمن الوطني، كانت المأمورية برئاسة المقدم أحمد الرفاعي، وقاموا بالتحرك قبيل الفجر بساعة.

هاجمـت القـوات الخاصـة الشـقة التـي يقطـن فيهـا الكـادر الإخـواني د. نـاجي، وفـور حـدوث المداهمـة قـام نـاجي بالاستسلام برفع يده لأعلى قائلًا عدَّة مرات: لا أحد يطلق عليَّ النيران... أنا مستسلمٌ تمامًا.

تـمَّ التحفظ عليه وضبطه، وقـام الرفـاعي والقـوة المصـاحبة لـه بتفتيش محتويـات الشـقة، والـذي عُثِرَ فيهـا علـى عـدد مـن الأوراق التنظيمية وجهاز لاب توب وجهاز تليفون الثريا وطبنجة ماركة «سي زد 9 مللي»، ومبلغ مالي قدره 500 ألف جنيه، وعليه تم اصطحابه إلى مكان آمن للتحقيق معه.

بالتحقيق معه، قدَّم ناجي في بادئ الأمر اعترافات تفصيلية حول علاقته بجماعه الإخوان المسلمين، حيث قال:

- بدأت علاقتي بجماعة الإخوان المسلمين منذ أن كنت طالبًا في كلية الطب بجامعه أسيوط، وتدرَّجت في العمل التنظيمي داخل صفوف الجماعة، حتى وصلت إلى عضوية مكتب الإرشاد على مستوى الجمهورية، وأصبحت – بمرور الوقت– واحدًا من قيادات التنظيم على مستوى الجمهورية.

كما أدلى ناجي بموقعه التنظيمي داخل صفوف الجماعة؛ ولكونه مسؤول الاتصال الخارجي في الجماعة... قدَّم معلومات مهمة عن علاقة الإخوان بحركة حماس قبيل ثوره 25 يناير 2011، حيث كان يقوم بدور المنسِّق بين الحركة وقيادات جماعة الإخوان المسلمين، وقال بأنه سبق له السفر إلى قطاع غزة قبيل الثورة عن طريق الأنفاق، وبأن الإخوان كانوا يدعِّمون حماس بكل سبل الدعم، وأشار بأنه كان هو المنسق لدخول أعضاء حركة حماس إلى البلاد.

كما اعترف بأنه إبَّان ثورة يناير هو مَن قام بتهريب أعضاء الجماعة المحكوم عليهم من السجون، واقتحامها بالاستعانة بشباب الجماعة، بناء على خطة موضوعة مسبقًا.

وأضاف ناجي قائِلًا بأنه كان حلقةَ الوصل بين الجماعة والمخابرات التركية، وكان هو الذي يتلقى التعليمات منهم بالتنسيق مع السيد فاتح أربكان، مسؤول الملف المصري بالمخابرات التركية، بناءً على تعليمات السيد حيدر أوغلو، مدير المخابرات التركية، حيث هم مَن كانوا يوجهونه في مسألة إدارة العمليات داخل اعتصام «رابعة العدوية» و«النهضة» وعملية «الحرس الجمهوري»، وما واكب من أحداث أثناء فض الاعتصام، وكانوا يصدرون له التكليفات لصنع الأحداث التخريبية والعمليات التي قامت بمصر بعد ثورة الثلاثين من يونيو.

كما أنه كُلِّف من قِبَلِهم بإعادة إحياء التنظيم السري للجماعة مرَّةً أخرى بصورة جديدة، وفقًا للمتغيرات الجديدة، والقيام باختلاق مراحل الإرباك والإنهاك والإضعاف التي قاموا بارتكابها في مصر، ومرحلة الحسم التي سعت الجماعة لتنفيذها، وتسعى أيضًا خلال الفترة القادمة، بتخطيط تركي... كما أدلى بأسماء بعض القياديين العاملين معه، ولكنه لا يعلم باقي أسماء العناصر القاعدية.

كما أنه أضاف في اعترافه للرفاعي ورفاقه عن وجود مكان لتصنيع المواد المتفجرة والعبوات، والتي قاموا بتفجير محوِّلات الكهرباء والأبراج الكهربائية في العديد من المحافظات بواسطتها، واستهداف بعض أكمنة الجيش والشرطة، وقام بالإرشاد عن مكان مخزن تلك المتفجِّرات، كما أنه أرشد على كريم يسري، مسؤول التصنيع، ومعه عدد من طَلَبة كليه العلوم، ولكنه لم يكن يعلم مكان التصنيع تحديدًا، كما أنه أشار باعتزام المخابرات التركية تنفيذ سلسلة من

العمليات الإرهابية في مصر خلال المرحلة المقبلة، وأنهم يقومون بتدريب عناصر حاليًا بالسودان، سوف يقومون بالتسلُّل عبر الدروب الصحراوية لتنفيذ تلك العمليات، لكنه لا يعلم تفاصيل أكثر عن المخطط.

الرفاعي: وماذا تسمِّي ما تفعله بعلاقتك أنت وجماعتك مع أجهزة المخابرات التركية؟

ناجي: إنها علاقات مع التنظيم الدولي

الرفاعي: وهل هذه كيانات شرعية؟

ناجي: نعم... كيانات شرعية، في قطاع غزة، وفي تركيا هو النظام الحاكم...

الرفاعي: تلك الكيانات غير معترف بها في مصر... ما يحدث هو تخابُر مع دولة أجنبية في سبيل الإضرار بالأمن القومي المصري، وهذا عقوبته الإعدام... هل تعلم ذلك؟

التزم ناجي الصمت لدقائق، ثم قال: هذا من وجهة نظركم أنتم...

الرفاعي: لا... هذا من وجهة نظر القانون... في الحقيقة يا دكتور ناجي، أنا لا أعرف كيف يتصالح أمثالك مع أنفسهم الرَّدِيَّة التي تقتات على الكذب... كيف تنظر لنفسك في المرآة؟ لماذا لا تنزل أنت وأمثالك ممن أينعت بطونهم من التكسُّب وأكل فضلات كل الموائد بدلًا من دعوة شباب في عمر الزهور ليفقدوا حريتهم وحياتهم وأنتم تتلقون المال. أنا أعلم بأنك لم ولن تستوعب معنى كلامي هذا، على كل حال، أنت مُتَّهَمٌ بالتخابُر مع دولة أجنبية، وقد قمت بإعداد أجهزه اتصالات لذلك، وقمت بنقل معلومات خاصة بالبلاد لجهات أجنبية، بالإضافة إلى المشاركة والتدبير لإحداث أعمال تخريبية تستهدف أمن وسلامة البلاد، ولا بُدَّ من خضوعك للمحاكمة، وأمام الرأي العام كله.

وجَّه الرفاعي بإعداد مأمورية برئاسة النقيب إبراهيم شاكر ومعه مجموعة من القوات الخاصة وضابط مفرقعات من الحماية المدنية، بعد اسئذان رئاسة القطاع لتحرير إذن من نيابة أمن الدولة العليا؛ لضبط ما يحتويه المخزن الذي أشار

إليه ناجي في التحقيق معه من مواد متفجرة أو مواد لتصنيع المتفجرات، أو ما قد يظهر عَرَضًا أثناء عملية التفتيش، وبالفعل أسفرت المأمورية عن ضبط عدد 5 قنابل وعدد 6 أسلحة ثقيلة مختلفة الأنواع.

انتهى الرفاعي من تحقيقاته معه، وتوجَّه إلى رئاسة الجهاز لعرض ما توصَّل إليه من اعترافات مهمَّة ومن نتائج كشفت عددًا من الحوادث والعمليات السابقة، التي كان الفاعل فيها مجهولًا، والكشف كذلك عن الكوادر التي ترتكب أحداث العنف، والهيكل التنظيمي لها، وعن الخطط التي يسعى التنظيم لارتكابها خلال المرحلة المقبلة، وما تم ضبطه من مخزن المتفجرات والأسلحة.

أبدى رئيس الجهاز سعادةً كبيرةً بما توصَّل إليه الرفاعي ورجاله من معلومات مهمة، وطلب عقد اجتماع عاجل مع فريق العمل القائم على هذا الملف. في بداية الاجتماع وجَّه لهم الشكر لما بذلوه من جهد للتوصُّل لتلك المعلومات، وقام بِحَثِّهم على ضرورة ضبط كافة الكوادر المتواجدة داخل البلاد، وكشف العناصر القاعدية وخلاياهم العنقودية، وأصدر تعليمات بالتنسيق مع جميع أجهزة وزارة الداخلية في المطارات والموانئ البحرية والبرية لفحص كافة القادمين إلى مصر بدقة، وخاصة من دولتي تركيا والسودان؛ لمنع تسلل تلك العناصر، وضبطهم قبل ارتكابهم أي حوادث أو عمليات، وسرعة عمل تحريات لتحديد مكان صناعة المتفجرات وضبط الهارب مسؤول التصنيع المدعو كريم يسري ومَن يعاونونه في عملية صناعة المتفجرات، مع ضرورة ضبط كل تلك المتفجرات والأدوات المستخدمة في صناعتها.

وعده الرفاعي ورفاقه بتنفيذ تلك التعليمات بدقة، وبذل كل الجهد لتحقيق ذلك، وانصرف الجميع إلى عمله.

مَقَرُّ المخابرات التركية– اسطنبول:

دخل فاتح مكتب حيدر أوغلو، تبدو على وجهه ملامح الانزعاج، وقال له:

- كارثه بكل المقاييس... الأمن المصري قام بضبط محمد ناجي.

- ماذا؟ متى حدث ذلك؟

- أمس فقط... وهو الآن رهن التحقيقات في مكان غير معلوم، ومن المؤكد أنه سوف يتحدث عن كل شيء، وسيحصلون على كل المعلومات منه؛ فإنه على الرغم من كونه حلقة اتصال جيدة ولكنه كان طيلة حياته يخشى السجن والاعتقال، ليس لديه الجَلَد لتحمُّل التحقيقات، والأمن المصري لا يكل ولا يمل في تحقيقاته للوصول لآخر معلومة.

- كيف حدث ذلك؟ إن القبض على ناجي في هذا التوقيت يُخِلُّ بكل حساباتنا خلال المرحلة المقبلة، وإدلاء ناجي بكافة المعلومات سيجعلنا مكشوفين لمصر، وأصبحنا نلعب مع المصريين وجهًا لوجه... لا بُدَّ من خطة بديلة وشخص جديد، وعلى وجه السرعة.

- لم يعد أمامنا سوي الطوبجي، مسؤول عمليات تدريب العناصر بالسودان، هو على اتصال بمعظم عناصر الجناح المسلح، ويستطيع إداره الموقف، ولو بصفة مؤقتة.

اعتدل أوغلو على مقعده، وقالل لفاتح:

- هل يستطيع الطوبجي أن يحلَّ محلَّ ناجي بنفس القدرة على المتابعة وسرعة التوصيل؟ ولكن كيف تفكر في الطوبجي أساسًا! إن بقاءه في السودان مهم جدًّا حتى يتمكن من تدريب العناصر، وهذه هي أولى الاهتمامات في المرحلة المقبلة...

- لا يوجد غيره يمكننا الثقة فيه والتوصل إليه، خصوصًا بعد تفرُّق قيادات جماعة الإخوان وإحساسهم بعدم الأمان، فالقبض على ناجي زعزع ثقتهم في أنفسهم.

- طالما لا يوجد غيره استعِنْ به، ولكن يدير العمليات في مصر من السودان، ولكن هل يستطيع الجمع بين المهمتين في آن واحد؟
- الطوبجي أهم شيء يعنيه هو المال، وطالما توفَّر لديه المال توفَّر لديه كل شيء، سأقوم بالاتصال به في السودان لتوليته هذا الأمر...
- لا... الاتصال غير كافٍ، إمَّا أن تسافر بنفسك إلى السودان، أو يتم استدعاؤه إلى تركيا لترتيب الأمر معه...
- أعتقد أن استدعاءه إلى تركيا سيكون صعبًا جدًّا؛ لأن دخل السودان متسلِّلًا، ولا نريد أن نضع حكومة البشير في مأزق مع الحكومة المصرية، خاصة في ظل العلاقات بين مصر والسودان وتوافُق المصالح بينهم.
- إذًا رتِّبْ نفسك للسفر إلى السودان ومقابلة الطوبجي، والاتفاق معه على تصوُّر جديد للمرحلة القادمة...

بالفعل، بعد هذا اللقاء بيومين غادر فاتح أربكان تركيا متوجِّهًا إلى السودان، حيث التقى بالطوبجي وأخبره بالأحداث الأخيرة وبتكليفه الجديد كمسؤول العمليات في مصر، لكنه سيباشر إدارتها من السودان، فكافة التكليفات سيتم إصدارها من هنا من السودان.

الطوبجي: كيف لي أن أدير العمليات في مصر وتدريب العناصر هنا بالسودان؟ هذا أمر صعب وشاق جدًّا.

فاتح: تم اختيارك بناء على ثقتنا فيك وفي قدرتك على ذلك تمامًا، وهذا مبلغ مائتي ألف دولار، وسأقوم بإرسال مبالغ أخرى أكبر خلال المرحلة المقبلة، وأملنا فيك كبير لتنفيذ المهام الموكلة إليك، وأنك ستكون بنفس حنكة الدكتور ناجي في إدارة الموقف.

الطوبجي: توكَّلنا على الله... والله خير معين، سأدبِّر الأمر وسأقوم بالتواصل مع الإخوة في مصر لبحث آلية التنفيذ، وسترى مثالًا يُحتذَى به في الإخلاص والوفاء وسرعة التنفيذ، ومع كامل الاحترام للدكتور ناجي فإن هذا المكان لا يحتمل الأيدي المرتعشة ولا الخوف، إلا من الله عزَّ وجل، وأنا لا أهاب الموت قط، وستذكر يومًا أن العمليات التي سنقوم بها ستكون بادرة خير لإعادة حكم الجماعة داخل مصر، وسيتحقق حلم الخلافه بإذن المولى...

فاتح: سنرى... نتمنى ذلك.

قام فاتح بامداده بأجهزه اتصالات حديثة يمكن من خلالها التواصل معه، وطالبه بضرورة تغيير العناصر القاعدية في الخلايا العنقودية، ونقلها من أماكنها، فمثلًا تتنقل لمجموعة الإسكندرية مسؤولية عملية بالقاهرة، وهكذا؛ حتى تصاب أجهزة الأمن بالتشتُّت، خاصة بعد أن كشفوا عددًا كبيرًا من المسؤولين في المحافظات بعد القبض على الدكتور ناجي.

أضاف فاتح: لا بُدَّ من تنفيذ عملية اغتيال شخصية كبيرة في الدولة؛ ردًّا على تهمة التخابر التي وجهها النظام المصري لناجي والزَّج ببعض الأشخاص في جهاز المخابرات التركي في تلك القضية، بالإضافة إلى إظهار ضعف النظام في مصر أمام الشعب وعجزه عن حماية الشخصيات الكبيرة في الدولة، وفي حالة تنفيذ ذلك ستكون هناك مكافأة كبيرة جدًّا... وعده الطوبجي بتنفيذ ذلك في أسرع وقت ممكن...

الاغتيال:

بدأ الطوبجي في الاستعداد لتنفيذ العملية المكلف بها من قِبَل المخابرات التركية، وبدأ البحث عن شخصية تزلزل أركان مصر ويكون لها صدى إعلامي، وتكون حقًّا ردَّ اعتبار للمخابرات التركية، وتكون بمثابة إثبات جدارة أمام السيد فاتح أربكان، فوقع الاختيار على المستشار هشام بركات، النائب العام المصري...

أرسل الطوبجي في طلب أحد الكوادر التي يتم تدريبها معه في السودان، ويُدْعَى سعيد المنوفي، واستعرض معه الأحوال في مصر بصفة عامة، وركَّز في حديثه على أن النائب العام هو يد الانقلاب في الزج بآلاف المسلمين في السجون، وبأن القضاء المسَيَّس سوف يصدر أحكام إعدام على كافة قيادات الجماعة؛ فلا بُدَّ من استهدافه وتصفيته.

سعيد المنوفي: حقًّا...كلامك صائب، ولكن هناك مَن أحقُّ منه بالقتل، مثل الوزراء ومَن هم على شاكلتهم من قيادات داخل حكومة الانقلاب.

الطوبجي: المستهدف الأهم في هذا التوقيت هو القضاء، فإن مقتل النائب العام سيبثُّ الخوف والرعب في قلوب القضاة؛ ولذلك سيفكرون ألف مرة قبل إصدار أحكام على رجالنا وقياداتنا المودعين في السجون.

المنوفي: الله المستعان...

الطوبجي: عليك التسلُّل إلى مصر والعمل على اختيار مجموعتك التي سوف تقوم بالتنفيذ.

المنوفي: هناك مجموعة من الشباب المتحمِّس، وهم جميعًا طلَّاب في جامعة الأزهر، وغير مرصودين أمنيًّا، وشاركوا معنا في اعتصام «رابعة العدوية»، كما كان لهم دور فعَّال في تفجير أبراج الكهرباء خلال المرحلة الماضية.

الطوبجي: من أي المناطق هم؟

المنوفي: أغلبهم من محافظة الشرقية.

الطوبجي: عظيم جدًّا... من الشرقية والتنفيذ في القاهرة؛ حتى لا يتمَّ ضبطهم.

المنوفي: ما هي تصوراتك عن خطة تنفيذ العملية؟

الطوبجي: يتم رصد تحركات النائب العام وتحديد خط سيره من منزله حتى مكان عمله، وتحديد عدد أفراد الحراسة المرافقة، نوع السيارة التي يستقلها هو والحراسة المرافقة، رصد الحراسة المتواجدة أسفل منزله، خط السير الذي يسير فيه الرِّكاب، وهل يستخدم طريقًا واحدًا أم عدة طرق، وما هي الطرق الإجبارية، وهل توجد مطبَّات صناعية في طريقه أم لا... تستمر عملية الرصد عدَّة أيام، سيعاونك شخص اسمه شمس، وسوف يتم استهداف الموكب بسيارة مفخخة يتم تجهيزها لتنفيذ العملية.

المنوفي: توكلنا على الله.

استطاع المنوفي التسلل إلى مصر، وقابل شمس، وتم تحديد العناصر التي ستشارك في تنفيذ العملية، كانت أسماؤهم حركية، هم: محمدي، عبد الرحمن، خالد، هشام، أحمد، علي... وقام سعيد المنوفي بالاجتماع بهم وتحدَّث معهم حول أهمية العملية، قال:

- لقد وقع عليكم الاختيار لتنفيذ عمل يرضى به الله ورسوله، ويكون لَبِنَة في فَكِّ أسر رئيسنا د. محمد مرسي وأصحابه، وتكون بمثابة مسمار يُدَقُّ في نعش حكومة الانقلاب... لقد قررنا اغتيال النائب العام، وأنتم مَن سيقوم بتنفيذ هذا العمل البطولي، حتى نُرضي الله ورسوله، ونأخذ بثأر إخواننا الذين قُتِلوا غدرًا في رابعة والنهضة.

أثار حديثه حماس الشباب الصغير، وأبدوا استعدادهم التام لتنفيذ ذلك.

قام سعيد المنوفي بتوزيع أدوار عناصر العملية قائلًا:

- الأخ هشام... سيقوم بشراء سيارة، ويستخدم في ذلك إحدى البطاقات المفقودة التي ليس لها ارتباط بأيٍّ من أقاربك أو أقارب أحد من مجموعة التنفيذ.

الأخ محمدي... سبق لك أن تلقيت دورة تدريبية في حماس، فأنت عنصر تنفيذ قوي، وعلى دراية بأعمال التفجير والتفخيخ، وهذا سيكون دورك في العملية.

الأخ على... ستكون مسؤول مجموعة الرصد، وسبق لك رصد عدد من أكمنة الشرطة ومعسكر الوفاء والأمل ورئيس جامعة الأزهر.

الأخ أحمد... ستتولى إحضار السيارة عقب تجهيزها.

الأخ خالد... ستكون مسؤول التصوير، أي إنك ستتولَّى تصوير العملية وقت تنفيذها ونجاحها بإذن الله تعالى.

أضاف المنوفي:

– هذه العملية ستكون بمثابة شهادة ميلاد لحركة «حسم»... وفَّقكم الله وأعانكم على ما فيه خير لنصرة دينه والقضاء على كل من يخالف شريعته.

تواصل الطوبجي من خلال هاتفه الثريا مع كريم يسري، وكان قد حصل على رقمه من خلال الدكتور محمد ناجي قبل ضبطه، وأبلغه بأنه سوف يرسل سيارة له؛ لكي يقوم بتجهيزها.

سأله كريم عن كمية المتفجرات المطلوبة... فقال له الطوبجي بأنه سوف يبلغه بالكمية المطلوبة فور انتهاء عمليه الرصد للهدف.

قام «علي» بعرض ما توصَّل إليه من عملية رصده لتحرُّكات النائب العام، بدءًا من أمام منزله بشارع عمار بن ياسر بمنطقة مصر الجديدة، حتى وصوله إلى مقر عمله بدار القضاء العالي، وتم تحديد توقيتات تحرُّكه من منزله وعودته من عمله، واستمرَّت عملية المراقبة إلى ما يقرب من أسبوع، كان النائب العام يستقلُّ سيارة مصفَّحة ماركة تويوتا، وقد رصد «علي» أيضًا أن الحراسة تقوم بصفة دوريَّة بتغيير خطوط السير، إلا أن هناك طريق حتمي يتم المرور فيه لا يمكن تغييره...

وقد قام «هشام» بشراء السيارة التي كُلِّف بشرائها، كانت ماركة اسبيرانزا، حمراء اللون، اشتراها من سوق السيارات مستخدمًا في شرائها بطاقة لسيدة تم العثور عليها بأحد مكاتب البريد.

أبلغ سعيد المنوفي الطوبجي بما توصلوا إليه من معلومات حول تحرُّكات النائب العام، وبخطوة شراء السيارة، والذي أخطره الأخير بقيام أحد الإخوة بصفِّ السيارة بأحد الشوارع بمنطقة إمبابة وتركها... وعليه أن ينتظر صدور باقي التعليمات لإكمال العملية، وقام الطوبجي بالاتفاق مع كريم على هذا المكان للتجهيز. بالفعل قام «هشام» بِرَكْنِ السيارة بالمكان المتَّفق عليه.

توجَّه كريم يسري للمكان، واستقلَّ السيارة لتجهيزها كما اتفقوا، وعاود الطوبجي الاتصال به...

الطوبجي: هل قمت باستلام السيارة؟

كريم: تمام، استلمتها بالفعل.

الطوبجي: السيارة التي يستقلها الهدف مصفَّحة، ماركة تويوتا، ونريد تدمير السيارة بالكامل.

كريم: لتدمير السيارة بالكامل وإحداث المنشود من العملية نحتاج أن تكون السيارة المفخَّخة بها كمية تزيد عن 60 كيلو جرام من المفرقعات.

الطوبجي: كم تستغرق من الوقت لتجهيزها؟

كريم: حوالي أسبوع.

الطوبجي: حاول في مدة أقل من ذلك، تخوُّفًا من حدوث أي تغييرات من قِبَل الهدف أو خط سيره أو سفره.

كريم: الله المستعان...

بعد مرور خمسة أيام، تواصل كريم مع الطوبجي، وأخطره بالانتهاء من تجهيز السيارة، فقام الطوبجي بالاتصال بفاتح أربكان، وأبلغه بأنه ومجموعته جاهزون لتنفيذ العملية، وأطلعه على الشخصية المستهدفة، فانتابت فاتح فرحة عارمة لاختيار تلك الشخصية، وأعطى له الإذن بالبدء فورًا.

تنفيذ العملية:

فجر يوم العملية قام «أحمد» باستلام السيارة المجهَّزة من نقطة تمَّ تحديدها بمنطقة مدينة نصر، وقادها في الساعة التاسعة صباحًا، وقام بتركها بميدان الحجاز بمصر الجديدة، وحال تحرك رِكاب النائب العام، قامت مجموعة الرصد برئاسة «علي» بإعطاء إشارة تحرُّك إلى «محمدي»، وأثناء عبور الموكب بميدان الحجاز، قام «محمدي» بتفجير السيارة المفخخة باستخدام ريموت كنترول... ممَّا أدَّى إلى وقوع انفجار هائل، سارع الأهالي بالهروب من مكان الحادث، بينما لم يتمكَّن «خالد» مسؤول التصوير من الحصول على تصوير جيِّد لعملية التفجير، وقام المنفذون للعملية بالهروب سريعًا، مستقلِّين سيارة هيونداي، كان ينتظرهم بها «شمس».

سارعت قوات الشرطة إلى مكان الحادث وعلي رأسهم السيد وزير الداخلية، وتبيَّن وفاة سائق سيارة النائب العام وحُرَّاسه في الحال، بينما نُقِلَ المستشار هشام بركات إلى المستشفى، ولكن وافته المنيَّة قبل الوصول إلى المستشفى، فجاد بأنفاسه الأخيره فداءً للوطن، ورحل أحد الرجال الذين كانوا يحملون هموم الوطن على أكتافهم.

فور تناقُل وكالات الأنباء خبر اغتيال النائب العام المصري، اتصل فاتح أربكان بمخطِّط العملية الطوبجي، وهنَّأه بنجاح العملية، ووعده بمكافأة كبيرة له ومجموعته وطلب منه تكليف سعيد المنوفي للاطمئنان على عناصر التنفيذ، والتوجه إلى محل إقامتهم كأن لم يحدث شيء، والتأكد بنفسه من أن الأمن لم يتمكن من القبض على أحد منهم...

كلَّف الطوبجي المنوفي بتنفيذ ما وجَّه به فاتح، وبعد يومين أكَّد المنوفي للطوبجي بأن كل شيء على ما يرام والجميع بخير.

قام الطوبجي بعد ذلك بِبَثِّ بيان عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وأعلن فيه مسؤوليتهم عن الحادث وبأن هذا الحادث هو ميلاد «حركة حسم».

مقر الأمن الوطني– مدينة نصر:

حالة من الغضب والحزن والأسى تنتاب الإدارة المصرية لاستشهاد المستشار هشام بركات، النائب العام... عَقَد على إثرها السيد وزير الداخلية اجتماعًا عاجلًا مع مساعديه، وبحضور ضباط الأمن الوطني المسؤولين عن ملف التطرُّف، وقام بتوجيه اللوم الشديد على ما حدث، ووجَّه بضرورة كشف غموض الحادث وملابساته، وضبط مرتكبيه، وكيفية الحصول على تلك الكمية من المتفجرات، ووجَّه بأن يتم عمل فرق بحث بالتنسيق بين الأمن العام والأمن الوطني، وتحديد مكان تصنيع تلك المتفجرات التي تستخدم في هذه الحوادث، وضبط العناصر التي تقوم بتصنيع تلك العبوات، وخاصة وأن تقارير المعمل الجنائي تؤكد تطابق أنواع المتفجرات وطريقة التفجير، مع اختلاف الكمية فقط في كل حادث، حسب نوع الهدف. كذلك أمر بأن يتم رفع حالة الاستعداد القصوى داخل الوزارة، والتنبيه على اليقظة التامة وفحص جميع السيارات والمارة على الكمائن، وخصوصًا الكمائن الحدودية، وعمل حملات تنشيطية داخل نطاق المديريات، وخاصة حملات تنفيذ الأحكام، وعدم تواجد القيادات في مكاتبهم والمرور الجدي والفعال على جميع الخدمات وتكثيف الحراسات على الشخصيات الهامة، مع إيقاف كافة الراحات والإجازات..

دير الزور– معقل تنظيم الدولة الإسلامية:

أبو دجانة وبرفقته صديقه أبو أمل في السكن المخصص لهم، كل منهما منشغل في عمله، فأبو دجانة يقوم بترتيب الأوراق الخاصة بكشوف المسجونين والأسرى وعدد المسجونات، ويحاول القيام بعمل تصوُّر بتوسيع أو إضافة مكان آخر يتسع للسجينات، ويفكر في موقف الأطفال المتواجدين في سجن المعسكر مع أمهاتهم، ولا يوجد لهم حل أو سبيل في إثبات نسبهم .. فتلك مسأله كانت تؤرّقِه جدًّا...

وأبو أمل يقوم بتجهيز أغراض له استعدادًا لسفرة جديدة لنقل شحنة بترولية جديدة، وفجأة انتبه له أبو دجانة:

- إلى أين ذاهب يا «أبو أمل»؟
- مثل كل مرة... تسليم شحنة بترول...
- ما لي أرى وجهك شاحِبًا هكذا هذه المرة؟
- لا أعلم... ولكني سئمت هذا العمل، ولا أعلم متى تنتهي تلك الأعمال التي نقوم بها... أنحن عناصر دولة أم مهرِّبون؟!
- اسْتَعِذْ بالله من الشيطان... كم سيطول سفرك هذه المرة؟
- لا أعلم... لكني أظن يومين أو ثلاثة على الأكثر.
- تعود بسلامة الله يا أخي.
- سلَّمك الله من كل شر...

سافر أبو أمل ومعه رفاقه في طريقهم إلى المنطقة الحدودية بين سوريا وتركيا لتسليم المواد البترولية للأتراك، واستلام مواد غذائية وأسلحة، كان يشعر هذه المرة وكأنها هي الأخيرة، يتملَّكه إحساس غريب، أخفاه عن «أبو دجانة»، لكن... كيف يخفيه عن نفسه!

مرَّت أربعة أيام ولم يَعُد أبو أمل إلى المسكن الذي كان يقطن فيه مع صديقه «أبو دجانة»، والقلق يتسرَّب إلى نفس «أبو دجانة»، ولكنه ظل متردِّدًا في السؤال عن صديقه؛ خشية أن يتهموه بالعمالة والتخابر... إلا أن الأيام تمر يومًا تلو الآخر ولا يوجد خبر بأي شيء، فعزم أبو دجانة على التوجه إلى ديوان بيت المال؛ لمحاولة معرفه أي خبر، فتقابل مع شاب سوري يعمل بالديوان فسأله عن صديقه، فردَّ عليه الشاب قائِلًا: لا نعلم عنهم شيئًا؛ لأن القوات الروسية منذ يومين قامت بشنِّ هجوم بالطيران على الشحنات التي تم استلامها من الجانب التركي بعد إتمام عملية تسليم النفط.

أبو دجانة: وما مصير الإخوة؟

الشاب السوري: أغلب الظن أن جميعهم استشهدوا...

أبو دجانة: كلهم... ألم يَنْجُ منهم أحد؟!

الشاب السوري: أظن هكذا... لم ينجُ أحد.

أبو دجانة: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون... لا بُدَّ من وجود خيانة... مَن يعلم بتوقيت عودتهم؟

الشاب السوري: البقاء لله وحده... ليس لديَّ ما أفيدك به.

أبو دجانة: حسبنا الله ونعم الوكيل.

انتاب أبو دجانة حزن شديد على رفيقه وصديقه، جعله في ذهول من هَوْلِ الصَّدمة فلم يستطع الذهاب إلى عمله بالديوان لمده يومين، وأغلق على نفسه بابه، ولم يكن للمسكن صوت سوى صوت بكاء «أبو دجانة» على صديقه، فلم يعد للمسكن طعم، بل لم تعد الحياة كلها تمثِّل له شيئًا بعد فراق صديقه.

بعد مرور ثلاثة أيام خرج أبو دجانة من عزلته ليبحث عن زملائه القدامى في كتيبة خطاب، فلقي زميله «أبو صلاح»، والذي ما إن رآه حتى ابتل وجهه من الدموع، وحدثه قائلًا: أرأيت ما حدث لأخينا «أبو أمل»؟ لقد لقي ربه أثناء جلبه المَدَد والمؤن لصالح الدولة...

أبو صلاح: تقبَّله الله عزَّ وجَلَّ...

أبو دجانة: هل أتينا هنا من أجل العمل الإداري ونقل المؤن والأسلحة؟! لا والله ؛ فإني ما أتيت هنا إلا للجهاد في سبيل الله، ونيل الشهادة، لا لحصر مسجونين وأسرى، إنني أشعر بأن هذا العمل للعاجزين والضعفاء.

أبو صلاح: الإصابة التي لحقت بك هي السبب في ذلك... لولاها لكُنتَ في طليعة المجاهدين والمقاتلين... أريد أن أُسِرَّ إليك أمرًا...

أبو دجانة: ما هو؟

أبو صلاح: أنا لا أرى اختلافًا فيما يحدث هنا وما يحدث في حياتنا السابقة... البقاء للأقوى، والضعيف ليس له مكان... الامتيازات تكون للأمراء والوزراء، أمَّا باقي المجاهدين فهم على الهامش، ونحن شبه دولة، وليس لدينا مقوِّمات الدولة... فأنت متواجد في السجون حيث تتواجد النساء، أفضل النساء في منازل القادة، أما نحن فليس لنا القدرة على أقل حقوقنا وهو الزواج... الأموال لا نعرف عنها شيئًا؛ فنحن مثل العبيد... نأكل ونشرب فقط.

أبو دجانة: أنت مخطئ في حديثك يا أخي... نعم نحن في دولة، الشريعه أساس حكمها، والعدل والقسط هو منهاج حياتها، وسوف تتوسَّع تلك الدولة إلى أن تُقام الخلافة الإسلامية من المشرق حتى المغرب.

أبو صلاح: أنت فعلًا مقتنع بما تقول، عامَّة هذا رأيك وأنت حر فيه... ولكني أستحلفك بالله ألَّا يخرج هذا الحديث لأحد غيرنا؛ لأنه لو تسرَّب هذا الحديث لأحد من القادة ربما أتعرَّض للقتل.

أبو دجانة: لا تقلق... ولكن لا تتحدث في هذا الأمر مرةً أخرى مع أحد.

عاد أبو دجانة إلى عمله بديوان السجناء والأسرى بعد انقطاع دام ثلاثة أيام، وعند وصوله إلى الديوان قابله أبو لؤي، مسؤول السجن، وسأله عن سبب غيابه تلك الأيام عن العمل، أشار أبو دجانة بأنه مصابٌ بحالة من الحزن والأسى على صديقه «أبو أمل»، وكان في حالة لا يستطيع معها القيام بأي عمل.

أبو لؤي: البقاء لله وحده، ولكن العمل والانخراط فيه قد ينسيك بعض الشيء، ولكن ليس هذا هو السبب الأوحد لذلك، فإني ألاحظ تحركاتك منذ أن قدمت عندي بالديوان، وأرى أنك لست مندمجًا بالعمل بالديوان، هذا بالإضافة إلى ما قد وصلني من زملائك بالعمل من أن لك آراء معينة في السجن والمسجونين والمسجونات... اعلم يا «أبو دجانة» بأنك هنا تسير على النظام المتَّبع، ليس النظام هو الذي يتماشى مع رغباتك...

أبو دجانة: إنني عندما عزمت على الانضمام للإخوة بداية من كتيبة خطاب حتى ساعتنا هذه ليس لي سوى هدف واحد، ألا وهو الجهاد في سبيل الله والشهادة في سبيله عز وجل، لكن إصابتي في قدمي هي التي وقفت حائِلًا بيني وبين الالتحاق بصفوف المقاتلين، فأنا أرغب في الانضمام اليهم وأن أُنْقَلَ إلى وزارة الحرب، فأنا لا أجد نفسي في هذا العمل الإداري بالسجن؛ فإن جاءني الموت وأنا في عملي الإداري فهذا موت عادي وطبيعي، أمَّا الموت في القتال فهو جهاد في سبيل الله، ولا يوجد خلاف شرعي على ذلك..

تفهَّم أبو لؤي رغبته، ووعده بعرض الأمر، وبأنه من الممكن أن يقوم بعمل بطولي يتقبَّله الله منه ويُكتب مع الصديقين والشهداء.

أبو دجانة متلهِّفًا: ما هو... بالله عليك؟

أبو لؤي: صبرًا آل ياسر... فإن موعدكم الجنة.

انصرف أبو دجانة وجلس يفكِّر في العمل الذي وعده أبو لؤي به، كان فَرِحًا أنه أخيرًا سيكون له دور فعَّال، فتلك أمنيته التي طال انتظارها... أخيرًا سيقوم بعمل له قيمة وسيجاهد في سبيل الله، ولكن يا ترى ما هو هذا العمل الذي وصفه له أبو لؤي بالبطولي؟

مرَّ على لقاء «أبو دجانة» و«أبو لؤي» يومان، وعاد أبو لؤي واستدعى «أبو دجانة» قائلًا له:

أخي «أبو دجانة»... لقد عرضت الأمر، وهناك حلٌّ واحد، وهو الانضمام لمعسكر الانغماسين...

أبو دجانة: وما هو معسكر الانغماسين؟

أبو لؤي: هم الإخوة الذين يقومون بأعمال تفجيرية بالجود بأنفسهم على الكفرة.

أبو دجانة: تقصد استشهادي!

أبولؤي: نعم... استشهادي.

صُدِم أبو دجانة للوهلة الأولى حينما سمع كلام «أبو لؤي»، ولكنه أفاق سريعًا من صدمته، وأبدى موافقته على الانضمام، وسأله: متى يمكنني القيام بعملية؟

أبو لؤي: الأمر له توقيتات وإعداد نفس؛ لأن الأمر له جلاله، ولا بُدَّ أن تكون مؤهَّلًا نفسيًّا تمامًا للقيام بهذا العمل العظيم.

ترك أبو لؤي الاستشهاديَّ الجديد «أبو دجانة»، والذي جلس يؤهِّل نفسه لقرب تَرْكِ تلك الدنيا بزخرفها، والاستعداد للآخرة وللجنة الموعودة، فجلس ليلته بلا نوم يفكر في كيف سيقدم على هذه الخطوة الأخيرة في حياته، وجلس يُعِدُّ عُدَّته للانضمام إلى صفوف الانغماسيين.

معسكر الانغماسين:

صباح اليوم التالي توجَّه أبو دجانة إلى مسؤوله السابق في ديوان السجناء والأسرى، وعند وصوله، سأله أبو لؤي: جاهز يا بطل؟ جاهز يا شهيد؟ جاهز للقاء الحور العين في جنة عرضها السموات والأرض؟

أبو دجانة: نعم... جاهز إن شاء الله، فإني أرغب في تفجير نفسي في سبيل الله، وفي سبيل الدعوة ونُصرتها، وفداء للشهداء، وخاصه صديقي «أبو أمل».

أبو لؤي: ثبَّتَكَ الله وزادك إيمانًا ويقينًا، وأدخلك في فسيح جناته.

توجَّها سويًّا إلى «أبو القاسم»، مسؤول استقبال المقاتلين والانغماسين، حيث حدَّثه أبو لؤي عن رغبه «أبو دجانة» في تقديم نفسه للانضمام إليهم، وأخبره بأن الموافقة قد صدرت بذلك من القيادة بناء عن رغبته، فقام أبو القاسم باحتضان «أبو دجانة» وقال له: فليتقبَّلك الله... فهذا الأمر إذا قدمت عليه فإنك قد تبوأت منزلة الشهداء.

وبالفعل توجَّه أبو دجانة إلى مكان غير مأهول بالناس، وعليه حراسة شديدة، يقع على أطراف مدينة دير الزور، وعند دخوله المعسكر وجد مسؤولًا شرعيًّا يُدْعَى «أبو حمزة»، والذي ما إن رأى «أبو دجانة» حتى قال له: مرحبًا بالأخ الكريم المؤمن... نِعْمَ القرار قرارك، واعلم بأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر... يا عبد الله.. كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو كأنك عابر سبيل، وعُدَّ نفسك من أهل القبور... وهناك أبواب كثيرة عن فضل الرمي في سبيل الله والغزو في سبيل الله والقتل في سبيل الله وتجهيز الغزاة في سبيل الله، سنقوم بسردها فيما بعد باذن الله تعالى، أمَّا الآن فدعني أعرّفك على إخوانك من المؤمنين أمثالك.

أدخله أبو حمزة على عشره أشخاص، وقام بتقديم «أبو دجانة» لهم قائِلًا: أخوكم الشهيد بإذن الله أبو دجانة، تقبَّله الله وتقبَّلَكُم... سنتركه اليوم يستريح ونكمل غدًا بمشيئة المولى.

المعسكر ليس كمثل باقي المعسكرات؛ فهو عبارة عن مبنى بداخله مجموعة من الغرف، كل غرفة تكفي لفرد واحد، وبداخلها مرتبة، ومصحف، وسجادة صلاة، ولا توجد أي وسيلة من وسائل الترفيه.

قضى أبو دجانة ليلته الأولى في معسكر الانغماسيين في صمت تام، متفقِّدًا ما حوله من أشخاص وأشياء، وفي صباح اليوم التالي تجمَّع أفراد المعسكر في حلقة شرعية ترأَّسها أبو حمزة، وبدأ في تعريف الموجودين لـ «أبو دجانة»:

- أبو أبي... انغماسي بحزام ناسف، أبو حذيفة... انغماسي بسيارة مفخَّخة، أبو عمر... انغماسي بحزام ناسف، أبو عكرمة... انغماسي بحزام ناسف.

واستمرَّ في تعريف باقي المجموعة، كل شخص حسب قدرته... تساءل أبو دجانة عن كيفية اختيار طبيعة التنفيذ لكل أخ من الإخوة، فقال له أبو حمزة:

- يتم الاختيار وفقًا لطبيعة جسد الانغماسي، فإن كان سمينًا فإن هذا يمنعه من ارتداء حزام ناسف؛ لأنه سيُكْتَشَفُ حال اقترابه من الهدف، أمَّا إذا كان نحيفًا فسيسهل ذلك، بالإضافة إلى أن الاختيار أيضًا يخضع لطبيعة العملية وظروفها، وكذا الاستعداد النفسي لتوقيت التنفيذ.

ثم بدأ أبو حمزة في إلقاء خطبته فيهم قائِلًا:

- إن الله سبحانه وتعالى اصطفاكم وأنعم عليكم بنعمة الاستشهاد في سبيله، قال تعالى: « إِنَّ اللَّـهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّـهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» صدق الله العظيم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجنة مائة درجة أعدَّها الله عزَّ وجل للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَجِدُ الشهيدُ مِن مَسِّ القتل كما يجد أحدكم من مَسِّ القَرْصَة» صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم...

تـذكَّر أبـو دجانـة تلـك الكلمـات التـي سـبق وأن ألقاهـا عليـه مفتـي الإخـوان بمسـجد النـور بالقـاهرة قبـل إقدامـه علـى الانضمام إلى صفوف الجهاد.

عكف أبو دجانة داخل حجرته على قراءة القرآن والصلاة والاستغفار، وكثيرًا من الوقت يفكِّر فيما أقدم عليه، وأنه سوف يترك الحياة بمحض إرادته، وكيف ستأتي لحظة تفجير النفس وإنهاء الحياة بضغطة من زر في يده، كما أنه تذكَّر أباه وأمَّه وإخوته، تنمى لو عرف حالهم الآن، وتذكَّر محبوبته السابقة، التي نسب لها كلَّ ما هو فيه، ولكنَّ نفسه تحدثه بالجنة والحور العين اللاتي ليس كمثلهن مثل، وعن منزلته في الجنة بأنها منزلة الشهداء... فالدنيا متاع الغرور.

صباح اليوم التالي، التقى بـ «أبو حمزة» طالبًا منه ضمَّه في أول عملية قادمة؛ لأنه أصبح لا يحتمل الحياة ويتلهف للقاء ربه... فردَّ أبو حمزة: لا تحزن، فالموعد قريب إن شاء الله.

الأمن الوطني– مدينة نصر:

بدأ فريق بحث قضية اغتيال النائب العام في عمل استراتيجية للعمل في القضية وهي:

رفع كامل لمسرح الجريمة وفحص كافة السيارات المتواجدة في محيط الجريمة، وخاصة السيارة ماركة اسبيرانزا الحمراء اللون، التي نُفِّ بها الحادث، وفحص بيانات مالكها عن طريق الاستدلال من الإدارة العامة للمرور، بالكشف عن رقم الشاسيه والموتور الخاص بها، وضبط مالكها على وجه السرعة، وتحديد مسؤوليته عن الحادث.

فحص العناصر الهاربة ومراجعة كافة التحقيقات السابقة في جرائم تفجير محوِّلات الكهرباء، خاصة في ظل اعترافات الكادر الإخواني محمد ناجي لارتكاب عناصر الإخوان الإرهابية لتلك الواقعة واعترافه على المجموعات وتكوينها قبيل تقديمه للمحاكمة في قضيه التخابر.

وبالفعل قام المقدِّم أحمد الرفاعي بمراجعة اعترافات ناجي وبدأ يكشف الستار عن بعض الشخصيات التي وردت في التحقيقات... وأثناء فحصه دخل عليه النقيب مصطفى قائِلًا:

- تمام يا افندم... لقد وصل تقرير الأدلة الجنائية يفيد بأن العبوة المستخدمة يصل وزنها إلى 60 كيلوجرامًا، وتم تفجيرها بواسطة مفجِّر عن بُعْد، وأن المسافة ما بين القائم بالتفجير وبين السيارة المفخَّخة لا تتجاوز 300 متر.

رفع الرفاعي وجهه من أمام شاشة الكمبيوتر، قائلًا:

- إذًا... لا بدَّ من فحص ومراجعة كافة كاميرات المراقبة المتواجدة في جميع المحلات المحيطة بالمكان حتى نصل إلى أي شخص يمكن أن يقودنا لخيط لحل القضية.

ورد اتصال هاتفي للمقدِّم أحمد الرفاعي من النقيب أشرف من فريق البحث، والمكلف بفحص الكاميرات، أفاد بأنه توجد كاميرا لأحد المحال التجارية قد رصدت وجود سيارة هيونداي حمراء اللون، كانت متوقفة وموتورها دائر قبيل التفجير بلحظات، وبعد الانفجار مباشرة استقلَّها ثلاثة أشخاص وتركوا مكان الحادث بسرعة.

الرفاعي: هذا خطٌّ جيد.. سنتعقَّب الكاميرات للوصول إلى أحدهم، وسنصل إن شاء الله.

استمر فريق العمل لمدة أسابيع، ما بين تعقُّب كاميرات ومراجعة للتحقيقات وفحصها، وما بين العمل على تحديد العناصر التي ارتكبت حوادث مشابهة، وكذلك إعادة فحص العبوات السابق استخدامها في تنفيذ عمليات تفجير محطات ومحولات الكهرباء... وأخيرًا تمكَّن فريق البحث من الوصول إلى «أحمد»، أحد العناصر المشتركة في التنفيذ، من خلال إعادة فحص الكاميرات، حيث وجدوا أن إحدى الكاميرات قد رصدته قبيل التفجير بساعتين، عندما قام بترك السيارة الاسبيرانزا في مكان الحادث، وبالفحص المبدئي لصورته توقَّعوا أن يكون طالبًا بالجامعة؛ نظرًا لحداثة سنه...

بدأ فريق البحث في التركيز على طُلَّاب الجامعة من الإخوان، خاصَّةً مَن يتولى تأمين المظاهرات، أو الذين سبق لهم ارتكاب أعمال عنف في أحداث «رابعة العدوية» و«النهضة»...تعقَّبه فريق البحث حتى وصلوا إلى تحديد مكانه بالفعل. وفي نفس اليوم الذي كشفوا فيه عن شخصيته هاجمت قوات من الأمن الوطني وقوات الأمن المركزي مساءً الشقة السكنية التي يقيم بها بمدينة العاشر من رمضان، وفور مداهمة الشقه قام أحمد بالاستسلام، تمَّ ضبطه، ولم يُعْثَر على أي أسلحة بمسكنه، فتمَّ التَّحفُّظ عليه للتحقيق معه.

في بداية التحقيق استخدم المقدم الرفاعي معه أسلوب المحاصرة، فقبل أن يتحدث معه قام بعرض الصور التي التقطتها الكاميرا له وهو يقوم بِصَفِّ السيارة في مكان الحادث، ثم بعد ذلك قال له الرفاعي: كافة الأدلة ضدَّك... فما رأيك؟

أخذ «أحمد» بالإدلاء باعترافات تفصيلية عن الحادث والعناصر المشتركة معه ودور كل شخص، ولكنه لم يكن يعرف أسماءهم الحقيقية.

الرفاعي: وكيف تحصَّلتَ على السيارة؟

- تلقيتُ اتصالًا هاتفيًّا من سعيد المنوفي، أبلغني خلاله بالتوجُّه إلى منطقة طريق مصر الإسكندرية الصحراوي أمام محل تصليح كاوتشوك مغلق بجوار محطه وقود موبيل، وجدت مفتاح السيارة التي وصفها لي أسفل العجلة الخلفية اليسرى كما أخبرني، وجدت داخلها رخصة تسيير سارية، وقمت بقيادتها إلى المكان الذي حدده لي.
- هل تستطيع إرشادنا إلى المكان الذي استلمت منه السيارة؟
- نعم... أستطيع بالطبع.

تحرَّكت مأمورية لمعاينة مكان تواجد السيارة المستخدمة في الحادث، وتبيَّن أن المنطقة المجاورة لمحطة الوقود عبارة عن منطقة مكتظَّة بالمزارع، فتم تحديد المكان، وعادت المأمورية.

عاد الرفاعي ورفاقه من المأمورية لوضع استراتيجية لتطوير خطة العمل، فوجَّه قائِلًا:

- المكان الذي تم تجهيز السيارة به هو إحدى تلك المزارع بلا شك، فلا بُدَّ من فحص كافة المزارع الموجودة في المنطقة بهدوء؛ حتى لا يشعر بنا أحد ونتمكَّن من الوصول إلى مصنع المتفجرات الذي يغذِّي الجماعة الإرهابية بالمتفجِّرات، مع ضرورة أخذ الحيطة والحذر أثناء إجراء تحرياتنا.

قام الرفاعي ورفاقه بعرض نتائج أعمالهم على قيادة قطاع الأمن الوطني لبدء البحث والتحري للوصول إلى «مزرعة الموت» كما سمَّاها المقدِّم أحمد الرفاعي.

معسكر الانغماسين– دير الزور– سوريا:

دخل أبو حمزة إلى «أبو دجانة» في غرفته، حيث أيقظه من نومه... وقال له: استيقظ من نومك يا أخي ... ما هذا النوم كله؟ من الواضح أنك تأخَّرتَ في نومك كثيرًا ليلة أمس.

أبو دجانة منتفضًا من نومه: أهلًا «أبو حمزة»... ليلة أمس تعمَّقت في التفكير، وقضيتها ما بين قراءة القرآن وما بين الاستغفار، ولكن هناك مسألة أريد أن أسألك فيها...

أبو حمزة: تفضَّل... كلي آذان صاغية.

أبو دجانة: أنا شاب لم يسبق لي الزواج قبل ذلك، ولم أتذوَّق حلاوة الدنيا... فكنت أود أن أعرف ما هو جهاد النكاح؟

أبو حمزة: هي فتوى من أجل ممارسه النكاح بعقود زواج شفهية، وتكون للمقاتلين لتشجيعهم على القتال.

أبو دجانة: وهل هناك سَنَدٌ شرعيٌّ على تلك الفتوى؟

أبو حمزة: نعم... هناك قصص أم عمارة وأم سلمة، وغيرهما من النساء المقاتلات جنبًا إلى جنب، وهناك أحاديث نبوية تبيح زواج المتعة للرجال المشاركين في الغزوات... حيث ذكر أنهم كانوا يمارسون نكاح المتعة خلال غزواتهم، وذلك مذكور في البخاري ومسلم. عن إياس بن سلمة عن أبيه، قال: «رخَّص رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ أوطاس في المتعة ثلاثًا ثم نهى عنها»، وعام الأوطاس هو عام الحرب، كما أن هناك أخوات لبُّوا نداء الجهاد... نعم لدينا عدد ليس بالقليل من عدد من الدول مثل: تونس وبريطانيا وفرنسا وروسيا وبلجيكا.

تبسَّم أبو دجانة قائِلًا: هل لي أن أمارسه قبل تنفيذ العملية مع إحدى اللاتي ذكرتهم!

تغيَّر وجه «أبو حمزة» وقام بالرد عليه قائِلًا: أخاف أن تتذوَّق حلاوة الدنيا فترجع عمَّا أنت قادم عليه؛ فالنساء فتنة... والله سبحانه وتعالى قد اختارك لأمر مهمٍ وجلل... واختار لك الجنة والحور العين... لك أن تتخيَّل أخي الحبيب...

يدخل الرجل على الحورية فتُجْلِسُه على فخدها وتسقيه العسل بكأس من فِضَّة وتمسح فمه بفمها... يقول ابن القيم في وصف جسد الحوريات إنه كالغصن الرطب الذي جمع من كل فاكهة صنفًا؛ فوَرْدٌ على الخدود، وتفاح على الجبين، ورمان في الصدور...

برقت عين «أبو دجانة» فور سماع ذلك الحديث، وألحَّ على «أبو حمزة» من أجل الإسراع إلى الفوز بالحور العين والجنة.

مرَّ على هذا اللقاء يومان... ثم دخل أبو حمزة على «أبو دجانة» في غرفته قائِلًا له:

- أبشر يا «أبو دجانة»... ستنال مرادك قريبًا جدًّا.
- بشَّرَكَ الله بالخير... كيف؟ ومتى؟
- الدولة بصدد تنفيذ عملية كبرى في منطقة الحسكة، وستقوم بها أنت ومعك مجموعة من المقاتلين، ولكن بداية التنفيذ في يدك... يوجد تمركز أمنيٌّ في مدخل منطقة السوق ميامي، سوف يتم دخولكم المنطقة الأمنية بسيارة مفخَّخة، وستقودها أنت، بقية التفاصيل سوف أواليك بها... الآن عليك بحلق لحيتك وشعر رأسك خشية استهدافك قبل التنفيذ في ظل معرفتهم شكل جنود الخلافة المميز، من إطلاق اللحى، مع إطالة الشعر تأسِّيًا بالسُّنَّة النبويَّة، وعليك الإكثار من الصلاة والاستغفار استعدادًا للقاء النبي محمد صلَّى الله عليه وسلم في الجنة، والتمتع بالحور العين...
- نحن وإياك يا أخي «أبو حمزة»... متى يكون التنفيذ تحديدًا إذًا؟
- فجر غدٍ بمشيئة الله...

بات أبو دجانة ليلته قَلِقًا يفكِّر، وقام بأداء صلاة قيام الليل، وأكثر من الاستغفار والدعاء، وبدأ يستعد لترك الدنيا وزخرفها ومتاعها الزائل، وانصبَّ تفيكره في أنه ذاهب إلى الدار الخلد، وهي الآخرة، وإلى جنان عرضها السماوات والأرض. قام أبو دجانة بإخراج هاتف خلوي كان قد تحصَّل عليه من أمتعه «أبو أمل» قبل مقتله، ويوجد بداخله

شريحة اتصالات سورية، وقام بالاتصال برقم منزله في مصر؛ حتى لا يظهر رقم الشريحة التي يتصل منها، رنَّ جرس تليفون منزله وردَّت والدته...

أبو دجانة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأم: وعليكم السلام والرحمة... مين معايا؟

أبو دجانة: ألا تعرفين صوتي يا أمي؟!

الأم: مين... محمد ابني...

أبو دجانة: أيوه يا أمِّي... أنا محمد.

الأم (بكاء شديد وبصوت عالٍ): انت فين يا محمد؟! سيبتنا وسافرت ومانعرفش عنك أي حاجة... حرام عليك يا ضنايا

أبو دجانة: أنا كويس الحمد لله... ومتواجد في سوريا للانضمام إلى الدولة الإسلامية.

الأم: واحنا هنا فين؟ في دولة كُفْر؟! مصر دولة مسلمة ومش كُفَّار يا ابني... حسبي الله ونعم الوكيل في اللي دَخَّل في راسك الأفكار السُّودا دي.

أبو دجانة: لقد فات الميعاد على هذا الحديث يا أمي، فأنا اخترت طريقي، وكيف حال أبي وأشقائي؟

الأم (باكية): أبوك مات بحسرته عليك...

صمت أبو دجانة وقد أصيب بالذهول لبرهة، وردَّ بصوت حزين: رحمه الله... وغفر له.

قاطعته أمه: وأنا باشتغل في تنضيف البيوت عشان أعرف أصرف على البيت وعلى اخواتك وتعليمهم بعد ما أبوك ما مات...

أبو دجانة: هل تريدين مالًا يا أمي؟

الأم: أنا عايزاك انت يا محمد... ارجع يا ابني يا حبيبي عشان خاطري وخاطر اخواتك، وسيبك من الطريق اللي انت ماشي فيه وحياة حبيبك النبي...

أبو دجانة: صلى الله عليه وسلم... لقد قُضِيَ الأمر يا أمي... ألقاكِ في الجنة إن شاء الله.

الأم (صارخة): حسبي الله ونعم الوكيل... حسبي الله ونعم الوكيل... يا محمد... يا ابني... يا ضنايا، رُدَّ عليَّا يا حبيبي.

أغلق أبو دجانة الهاتف، وانفجر في بكاء شديد على رحيل أبيه، وحزنًا على أمه وأشقائه.

دخل أبوحمزه عليه غرفته ووجده يبكي وفي يده الهاتف الخلوي، ففقال له:

- ما الذي يبكيك ؟ ما هذا الذي في يدك ؟ تليفون... ماذا فعلت؟

وأخذ الهاتف من يده.

أبو دجانة: اتصلت بأمي لأطمئن عليها وأسمع صوتها، وعلمت أن أبي قد مات.

أبو حمزة: لقد ارتكبت خطأً أمنيًّا فادحًا؛ قد يُعرِّضنا جميعًا للخطر وكشفنا والمعسكر بالكامل... هل جُنِنْتَ؟ لا يُسْمَحُ بأي وسائل تواصل هنا.

قام أبو حمزة بتكسير الهاتف المستخدَم، وصرخ في وجهه: لولا أنك بصدد تنفيذ عملية وشيكة لكان لي معك تصرف آخر.

أبو دجانة (غاضبًا): ماذا كنت ستفعل أكثر مما سأقوم به... وهو تفجيري؟!

ردّ! أبو حمزة بمكر قائِلًا: إن ما فعلته خطر جدًّا، بالإضافة إلى أن حديثك مع والدتك ومعرفتك بوفاة والدك قد يُغيِّر ويَحُطُّ من عزيمتك وعزمك على تنفيذ العملية.

أبو دجانة: لا تقلق يا «أبو حمزة»؛ فأنا سأمضي إلى ما عزمت عليه.

هدأ قليلًا أبو حمزة بعد سماعه تلك الكلمات، وقال له:

إن شكلك قد تغيَّر تمامًا بعد إزالة لحيتك وقص شعر رأسك... وبهذا لن يشتبه فيك أحد بإذن الله.

أبو دجانة: أنا على استعداد تام لتنفيذ المطلوب الآن.

دخلت مجموعة من رجال المعسكر ووضعوا «أبو دجانة» على منضدة، وقاموا بتغسيل جسده، كأنه ميت تمامًا، وأبو دجانة يقوم بترتيل بعض آيات من القرآن عن الشهادة في سبيل الله، وعقب الانتهاء من مراسم الغُسْلِ، قام بارتداء ملابسه، وفور خروجه قام بارتداء ملابس مدنية، عبارة عن بنطال وقميص وجاكت، وقام بلف حزام ناسف حول جسده. شرح له مسؤول عمليات التفجير كيفية تنفيذ التفجير باستخدام المُفجِّر الذي وضعوه في يده، قال إنه بمجرد دخوله منطقة الهدف يقوم بالضغط على الزر فتحدث عملية التفجير وقتها.

أبو دجانة: وفي حالة حدوث أي عطل أثناء الضغط على زر الحزام الناسف؟

مسؤول التفجير: إذا حدث أي خلل أثناء التفجير، فإن السيارة التي تستقلُّها سيارة مفخخة، يوجد بداخل التابلوه الخاص بها زر تقوم بالضغط عليه فتحدث عملية التفجير، أمَّا إذا تم التفجير بالحزام الناسف إن شاء الله فسيتم تفجير السيارة بالتبعية.

استعدَّ أبو دجانة لتنفيذ العملية، وقام بتوديع باقي عناصر المعسكر، وكان الكل يحسدونه...

قام أبو حمزة بتوصيله إلى السيارة المفخَّخة وقال له: تلك السيارة هي ماركة نيسان، وبها كمية تزن حوالي 40 كجم من مادة «سي فور»، وهي مادة شديدة الانفجار، ويوجد داخل السيارة جهاز «جي بي إس»، سوف يرشدك إلى

مكان تواجُد التمركز الأمني، هذا الارتكاز به قوات مشتركة بين جيش الرِّدَّة... الجيش السوري، والجيش الروسي الكافر... أنت بهذه العملية ستنتقم لصديقك ورفيقك «أبو أمل» الذي لقي مصرعه من جرَّاء قذائف الروس الكفرة، ونُصرةً للأطفال التي شُرِّدَت والنساء المسلمات التي اغْتُصِبَت وسُبِيَت، ونُصرة لشرف هذه الأمة.

أبو دجانة: كنت أودُّ أن تنفِّذ معي هذه العملية وتكون رفيقي في الجنة.

أبو حمزة: كنت أتمنَّى... يا لها من منزلة عظيمة، ولكني لا أستطيع؛ لأنني في حُكْمِ وليِّ الأمر، وإذا استشهد ولي الأمر فستحدث فوضى، ولن تتحقَّق رسالة إقامة الدولة الإسلامية... فتأكَّد بأنك أنت وأمثالك من الإخوة تمثلون اللَّبِنَة الأساسية لإقامة الدولة الإسلامية على منهاج النبوة...

لذا فإن بقاء ولي الأمر وأعوانه ضرورته هي الهدف الأسمى، وهو إعداد الاستشهاديين أمثالك لنصرة الإسلام والمسلمين، وسألحقك بالجنة إن شاء الله.

أثار هذا الحديث حماس «أبو دجانة» وقام بمعانقة «أبو حمزة»... واستقلَّ السيارة للتوجُّه لتنفيذ العملية.

بينما هَمَّ أبو حمزة بمغادرة المعسكر، استوقفه «أسد» خبير المفرقعات:

- إلى أين تذهب يا «أبو حمزة»؟ ألن تنتظر للاطمئنان على تنفيذ العملية؟!

أبوحمزة: كل شيء سيكون على ما يرام.

أسد: ألا تخشى إمكانية تراجُع «أبو دجانة» عن التنفيذ؟

أبو حمزة: لقد أحسست بالقلق لبعض الوقت عندما تواصل مع أمه، ولكنه عاد في ترتيب أفكاره مرة أخرى، وسوف يقوم بتنفيذ المطلوب.

أسد: ولماذا تتركنا الآن؟ اجلس معنا يا أخي.

أبو حمزة: الحقيقة يا أخي لقد فزت بامرأة من السبايا الأكراد، وهي امرأة جميلة، أعطاني إياها الخليفة كمكافأة.

أسد: بارك الله لك يا «أبو حمزة»... لكن هل ستتزوجها؟

أبو حمزة: ليس مهمًّا... هي تعتبر مِلْكَ يمين، حتى نرى ماذا سنفعل عقب ذلك.

ترك أبو حمزة معسكر الانغماسيين لقضاء شهوته مع المرأة، بينما توجه الانتحاري أبو دجانة للموت وتفجير التمركز الأمني...

فور وصول «أبو دجانة» إلى منطقة الارتكاز الأمني بشارع ميامي بمدينة القامشلي أمام مطعم دومينو، وجد الشارع يعجُّ بالمارة من المدنيين، وعند اختراق السيارة لحواجز التفتيش حول الارتكاز المدني حاول الجنود استيقافه، ولكن في تلك اللحظة قام أبو دجانة بالضغط على الزر، وحدث انفجار هائل...

تطاير جسد «أبو دجانة» أشلاء في الهواء، نتج عن الانفجار وفاة ثلاثة مدنيين، تصادف مرورهم بالشارع، منهم سيدة وطفل صغير، وقُتل عشرة من العسكريين المتواجدين من قوة الارتكاز الأمني.

خلَّف الانفجار عددًا من الانهيارات في بعض العقارات المحيطة، وهرع السكان للهروب من منازلهم؛ خشية إصابتهم من جرَّاء الانفجار.

كان أبو حمزة قد أرسل أحد رجاله خلف «أبو دجانة» للاطمئنان على تنفيذ العملية، وفور حدوث الانفجار قام بالاتصال به بمنزله، كان أبو حمزة في غمار ملذاته مع المرأة التي كافأه بها الخليفة أثناء تلقيه الاتصال، الذي عرف منه بنجاح العملية، فتعالت ضحكاته، وردَّ على الرجل قائلًا: في الجنة إن شاء الله...

وعاد للانغماس في ملذاته مرَّةً أخرى.

مزرعه الموت:

دخل النقيب أيمن، أحد ضباط الأمن الوطني، على المقدم أحمد الرفاعي قائِلًا له:

بعد إذن سيادتك... هناك خيطٌ جيِّدٌ، من الممكن أن يصل بنا لمعلومات جيدة.

الرفاعي: ما هو؟

أيمن: قمنا بعمل حصر لكافة أصحاب المزارع في المنطقة، فوجدنا أن هناك مزرعة في المنطقة الخلفية للطريق مسجَّلة باسم سيِّدَتَيْن، ولا توجد ثمَّة قَرابَة بينهما، وبالكشف عليهما تبيَّن أنهما زوجتا أحد العناصر الإخوانية... ووجدنا أن تاريخ شرائهما للمزرعة يرجع إلى فترة قريبة، البيع تم بمبلغ كبير، حوالي 18 مليون جنيه دُفِعت للبائع مرة واحدة...

الرفاعي: كلام جيد... ما هي مساحة تلك المزرعة؟

أيمن: ثلاثون فدانًا، وبها أجزاء كثيرة مزروعة.

الرفاعي: شيء ملفت للنظر بالفعل ويثير الاشتباه... هل هناك تصور عن كيفية دخول لتلك المزرعة؟

أيمن: المزرعة تقع في منطقة خلفية، وليست على الطريق الرئيسي، لكن هناك طريق آخر للدخول إليها، وهو طريق ترابي ممهَّد ولكن ليس أسفلتيًّا.

الرفاعي: هذا كلام عظيم... سأعرض الأمر على رئاسة القطاع.

قام المقدم الرفاعي بعرض تلك المعلومات على رئاسة القطاع...

رئيس القطاع: المعلومات جديرة بالاهتمام فعلًا، لكن طبيعة المكان صعبة يا أحمد؛ لذا لا بُدَّ من التأكد من تلك المعلومات قبل المداهمة... وإن صَحَّت التحريات سيكون صيدًا ثمينًا حقًّا.

الرفاعي: صحيح يا افندم... إذا تَمكَّنَّا من ضبط تلك المزرعة فإنها ستكون ضربة قوية للجماعات المتطرِّفة، وخاصة جماعة الإخوان الإرهابية، وإن صَحَّ أن بها مصنع المتفجرات فسنكون قد أوقفنا أي عمليات إرهابية قادمة، فنحن في الحالتين فائزون يا افندم.

رئيس القطاع: تمام... سأقوم بالتنسيق مع القوات المسلحة لتدبير لكم طائرة بدون طيار؛ تقوم بتصوير جوي لتلك المنطقة لمعرفة طبيعتها دون أن نلفت الانتباه.

الرفاعي: تمام يا افندم... هذا اقتراح جيد جدًّا.

بالفعل قام رئيس القطاع بإجراء اتصالات بالقوات المسلحة، وقاموا بإرسال الطائرة، وقامت بعمل عدة طلعات، صوَّرت خلالها المزرعة، والمنطقة المجاورة لها.

بعد يوم واحد استدعى رئيس القطاع المقدِّم الرفاعي لإطلاعه على المعلومات التي تمكَّن التصوير الجوي من التقاطها...

رئيس القطاع: ها هي مثل المزرعة، كما ترى، منزرعة بالزيتون، والكثافة الشجرية كبيرة داخلها، ولكن من الملاحظ أنه يوجد بعض من المناطق المزروعة بها أماكن مجزَّأة ومتفرقة وليست في منطقة واحدة.

الرفاعي: تقصد سيادتك بأنه تم إزالة الأشجار منها؟

رئيس القطاع: نعم... بالإضافة إلى وجود بعض الإنشاءات تحت الأرض تشبه الأنفاق، أو بمعنى أدق مداخل أنفاق.

الرفاعي: إذًا... هذا هو هدفنا يا افندم.

رئيس القطاع: لا بُدَّ من وضع خطة محكمة لاقتحام تلك المزرعة؛ لأنه لو صدقت التوقُّعات وصحَّ أنه فعلًا مكان التصنيع المركزي للجماعة الإرهابية، سيكون من المؤكَّد وجود كمية كبيرة من المتفجِّرات غير معلوم مداها الانفجاري.

الرفاعي: ما هو الحل؟ توجيهات سيادتك؟

رئيس القطاع: أنا أرى أننا من الممكن أن نضع عمَّالًا ومعدَّات لرصف الطريق قبل عملية التنفيذ، وبالفعل نقوم برصف الطريق، وبعد اطمئنانهم بأنهم مجرَّد عمال الرصف يتم إدخال القوات تحت هذا الستار، حتى نسيطر على المكان، وتبدأ عملية الاقتحام.

الرفاعي: فكرة أكثر من رائعة يا افندم... ونسأل الله أن يقوينا على تنفيذها.

صباح اليوم التالي، بدأ العُمَّال بمعداتهم في العمل على تمهيد الطريق ووضع الأجزاء المستهدفة لعملية الرصف...

أحسَّ كريم يسري ورفاقه بحركة غريبة في المكان، وبدأوا باستطلاع الأمر، فأرسلوا أحد العناصر العاملة معهم لهذه المهمة، عاد شوقي، العنصر القائم بعملية الاستطلاع، وأبلغ كريم يسري بكونهم مجرد عمال رصف، وأنهم بدأوا في عملية رصف طريق المزرعة.

كريم يسري: هكذا؟ بصورة مفاجئة؟! لا بُدَّ من التأكُّد من الأمر.

شوقي: كيف ذلك؟

كريم: قُمْ بالاتصال بالطيَّار، مسؤول الدعم اللوجستي، وأبلغه بضرورة أن يتحقَّق من الأمر بدقة.

عاد شوقي إلى كريم: كل شيء تمام، بالفعل هم يرصفون الطريق المؤدي للمزرعة، ويقومون ببدء تمهيد الطريق في الجهة المقابلة.

فجر اليوم التالي:

بدأت المدرَّعات والمركبات في الدخول إلى المنطقة، وقامت القوات بالتسلل داخل المزرعة.

أحسَّ شوقي بصدور بعض الأصوات، فبادر بإطلاق النيران هو ومن تواجد معه تجاه القوات، فقامت القوات بالرد عليهم، فأردته قتيلًا هو وشخصين مجهولين بصحبته...

بدأ ضوء النهار يتكشَّف، فدخل خبراء المفرقعات بمعداتهم باستخدام الأجهزة والكلاب البوليسية للكشف عن المتفجرات، عثروا على كميات كبيرة من ماده «آر. دي. إكس»، وهي مادة شديدة الانفجار، وجدوا كذلك براميل بها مادَّة سامة «آر. سولد»، وضبطوا ماكينة لتصنيع تلك المواد، ودوائر كهربائية ومخازن للأسلحة، وكمية من الذخائر.

انتابت الضباط حالة من السعادة الغامرة لضبطهم تلك الكميات من المتفجرات، والتي كانت تكفي لتدمير منطقة سكنية بأكملها.

شَرَع الرفاعي في تفحُّص المكان، والبحث بين العناصر التي تم ضبطها، فسأله أيمن:

عن ماذا تبحث يا أحمد بك وسط تلك العناصر؟

الرفاعي: أبحث عن مسؤول التصنيع كريم يسري، وهو غير موجود في المزرعة، والمعلومات تؤكِّد تواجده هنا، وأنه لا يغادر المزرعة قط.

أيمن: القوات محاصرة للمنطقة من الخارج، وإذا كان متواجِدًا فإنه لن يتمكَّن من الهرب...

كان اهتمام القوات متركزًا على الكشف عن بقية المتفجرات من خلال الحفر في أرض المزرعة للتأكد من وجود مخازن أخرى للذخيرة والمتفجرات، بينما قام الرفاعي بالسير داخل المزرعة محاولًا تتبُّع آثار الأقدام بمفرده؛ وعلى مسافة من مكان العثور على المتفجرات، سمع صوتًا وسط الأشجار، فقام بإشهار سلاحه وأبطأ خطواته، وجد كريم يسري مختبئًا بين الأشجار، وفي يده قنبلة يدوية «إف. آي».

الرفاعي: سَلِّم نفسك يا كريم... كل شيء انتهى.

كريم: لو اقتربت مني سأقوم بتفجير تلك القنبلة.

الرفاعي: لا داعي لذلك... ستقدَّم إلى محاكمة عادلة.

كريم: أي محاكمة؟ من حكومة الانقلاب التي لا أعترف بها؟!

الرفاعي: أنت اشتركت في مقتل النائب العام.

كريم: نعم... أنا الذي جهَّزتُ السيارة المفخَّخة لتنفيذ هذا العمل البطولي.

الرفاعي: أنت قتلت نفسًا بغير حق...

كريم: إنه كافر... يحلُّ لنا قتله...

الرفاعي: مَن الذي أفتى بذلك؟!

كريم: شيوخنا... لقد اغتصب الانقلاب الحُكْمَ منَّا.

الرفاعي: أيُّ حُكْم؟ الجيش والشرطة لبُّوا نداء الشعب الذي خرج بالملايين للاعتراض ورفض استمرار حكمكم...

كريم: ثورة إعلامية... فوتوشوب... أهذه ثورة؟!

الرفاعي: حتى هذا استطاعوا إيهامك به! إذا سألت أي مواطن مصري سيؤَكِّد لك صحة كلامي...

كريم: أنتم كَفَرة وتقتلون الإخوان.

الرفاعي: نحن لا نرفع السلاح إلا ضِدَّ مَن يرفع علينا السلاح... سلِّم نفسك وسوف تُقدَّم إلى المحاكمة.

كريم: لا...

الرفاعي: الدكتور ناجي عند ضبطه اعترف بكل شيء، وبأنكم أداة تُسْتَخْدَمُ لخدمة مصالح دول وأنظمة.

في هذه اللحظة وصل عدد من القوات إلى مكان تواجُدِهما شاهرين السلاح، هنا قام كريم بتفجير القنبلة التي في يده، وحدث الانفجار...

تطايرت أشلاء كريم يسري من جرَّاء الانفجار، وأصيب المقدِّم أحمد الرفاعي إصابات بالغة، توفي بعدها متأثِّرًا بجراحه، بعد نقله إلى المستشفى في محاولة لإسعافه.

قرية صناديد (إحدى قرى مركز طنطا- محافظة الغربية):

احتشدت القرية عن بكرة أبيها، متَّشِحَةً بالسَّواد، تنتظر جثمان أعزِّ أبنائها وهو المقدم أحمد الرفاعي، الذي جاد بأنفاسه الطاهرة ودمائه الزكية دفاعًا عن الوطن، تاركًا وراءه أبًا كان يستعد لتسليمه رايته، وأمًّا ثَكْلَى، فقدت نجلها الأكبر وسَنَدَها في الحياة، وأرملة في مقتبل العمر، وأطفالًا صغارًا لم يَسْرِ عليهم القلم بَعْدُ، فقدوا حُبَّ وحنان الأب... وأخًا وأختًا يبكيانه، حزنًا على فراق الأخ والصديق الحنون.

لُفَّ جثمانه الطاهر بعلم جمهورية مصر العربية، يودِّعه الآلاف من أهالي القرية ومن زملائه وأصدقائه وأهله ومحبِّيه إلى مثواه الأخير.

أُطلق اسمه على أحد مدارس القرية: «مدرسة الشهيد المقدِّم: أحمد الرفاعي الابتدائية»؛ تخليدًا لذكراه، ولتبقى وتستمر ذكراه عالِقة في ذاكرة الأجيال القادمة... المجدُ للشهداء.

النهاية... مجرد سؤال!

صعدت أرواحكم إلى بارئها... أتبوَّأْتُم منزلة الشهداء؟

أتزوَّجْتُم بالحور العين؟

بعدما تلطَّخَت أيديكم بدماء الأبرياء.

ما حكم مَن قتلتموه؟ هل هو كافر؟! هل أتى فعلًا من أفعال الشرك بالله؟! أكَشَفْتَ عمَّا في قلبه؟!

هل نَصَّبْتُم أنفسكَم أوصياء على الإسلام؟!

قال تعالى: «مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»...

الإسلام لم يَدْعُو إلى القتل وسفك الدماء، وإنما جاء للمحبَّة والسلام: « وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» صدق الله العظيم.

أم أنكم ضحية الصراع بين الأنظمة والمرتزقة الذين يدعون شباب الأمة إلى وهم وسراب باسم الجهاد ونصرة الإسلام؟

وما هي إلا رحى وطاحونة يطحنون فيها الشباب من غير ثمرة تُجْنَى غير الدماء والأشلاء وضياع شبابنا.

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: «يأتي على أمتي زمان ينقسمون فيه إلى بضع وسبعين شعبة، جميعهم في النار إلا واحدة» صدق رسول الله صلَّى الله عليه وسلم...

اللهم اجعلنا في الفرقة الناجية...

المؤلِّف